

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بلحاج بوشعيب- عين تموشنت-
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية



مطبوعة بيداغوجية

محاضرات في علوم القرآن

دروس موجهة لطلبة السنة : أولى جذع مشترك قسم اللغة والأدب العربي
من إعداد الأستاذ: بن زيان خالد

الموسم الجامعي 2025-2026

بطاقة تعريفية للمقياس

المقياس: علوم القرآن

الفئة المستهدفة: السنة الأولى ليسانس ل.م.د - جذع مشترك

وحدة استكشافية

السداسي الأول

الرصيد: 01

المعامل: 01

أهداف مادة علوم القرآن:

- إبراز العلاقة بين القرآن الكريم والدراسات اللغوية والأدبية.
- الإلمام ببعض علوم القرآن الكريم، لتمكين الطالب من الفهم السليم للقرآن.
- تزويد الطالب بالخلفيات التاريخية التي تمكنه من الوقوف على جهود علماء الأمة في حفظ كتاب الله من التغيير والتبديل، بما يزيد من إيمانه ويقينه وحبّه لكتاب الله.
- تشجيع الطالب على تعلّم القرآن الكريم ونشر علومه والدفاع عنه.

مفردات المقياس:

المحور الأول: تعريفات

أهمية القرآن وعلومه في الدراسات اللغوية والأدبية، تعريف القرآن، الكتاب، الوحي، المعجزة، النبي.

المحور الثاني: تاريخ القرآن

1- نزول القرآن، بدايات الوحي، التنجيم.

2- مراحل جمع القرآن، معايير ترتيب سور وآيات القرآن (توقيفية أم اجتهادية).

المحور الثالث: مكونات النص القرآني

1- اللفظة، العبارة، الآية، السورة.

2- القصة القرآنية: خصائصها، أهدافها.

المحور الرابع: سياقات النص القرآني

1- السياق السببي: أسباب النزول.

2- السياق المكاني: المكي والمدني.

3- السياق التراتبي: أول وآخر ما نزل، الناسخ والمنسوخ.

4- السياق التداولي: (القراءات القرآنية، مفهوما، أنواعها، الحكمة منها).

المحور الخامس: مناهج التفسير ونقدها

1- معنى التفسير والتأويل والشرح، شروط المفسر (العلمية والذاتية).

2- تاريخ التفسير (في عهد الصحابة، والتابعين وعصر التدوين).

3- التفسير بالمأثور: خصائصه، أعلامه، نقده.

4- التفسير بالرأى: أعلامه، نقده.

المحور السادس: الإعجاز القرآني

1- الإعجاز اللغوي والبياني.

2- الإعجاز الإخباري والتشريعي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

يقول أبو اسحاق الشاطبي رحمه الله في كتابه الموافقات مبينا مكانة القرآن الكريم في بنية الفكر الإسلامي، "إن القرآن الكريم هو كلية الشريعة، وعمود الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى سواه، ولانجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه وهذا كله يحتاج إلى تقرير واستدلال لأنه معلوم من الدين وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها والالحاق بأهلها أن يتخذها سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مرّ الأيام والليالي نظرا وعملا، ولا اقتصارا على أحدهما فيوشك أن يفوز بالبغيّة، ويظفر بالطلبة ويجد نفسه من السابقين".¹

فهذه محاضرات في علوم القرآن جمعتها لطلبة كليات العلوم الإسلامية و كليات الآداب واللغة العربية، سنة أولى جدع مشترك، ، شلف، تحقيقا للمنهج الدراسي في الكلية، وموافقة لمفردات المقياس في الجامعة.

حتى تكون هذه المحاضرات مرجعا في مادة علوم القرآن ، يمكن الاعتماد عليه، ويذلل عليهم كثير من الصعوبات، ويقدم لهم صورة واضحة عن علوم القرآن، عن نشأته وتطوره، وأهم موضوعاته ومباحثه.

والله أسأل أن ينفع بهذه المحاضرات الطلبة، وأن تكون لهم عونا على حسن فهم القرآن الكريم والعمل به، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بها يوم الدين، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:88]

وهو حسبنا و نعم الوكيل.

¹الموافقات، الشاطبي، 246/3.

خالد بن زيان

عين تموشنت : 15 ربيع الآخر 1447 هـ / 07 أكتوبر 2025

المحاضرة الأولى :

التعريف بعلوم القرآن و نشأته و تطوره

أولا : التعريف بعلوم القرآن

أ. معنى علوم

ب. معنى القرآن

ج. معنى علوم القرآن

ثانيا : نشأة علوم القرآن

1. مرحلة ما قبل التدوين

2. مرحلة تدوين علوم القرآن

ثالثا : أهمية علوم القرآن

أولا : التعريف بعلوم القرآن

جرت عادة المؤلفين على تعريف علوم القرآن باعتباره مركبا إضافيا ، فعلوم مضاف و القرآن مضاف إليه ، الأمر الذي يقتضي شرح هذين المتأضيفين كل على حدة ، و باعتباره علما مستقلا و هو بيان المصطلح حال التركيب " علوم القرآن " ، و شرحه مع بيان المحترزات .

أ. معنى علوم : أما العلوم فجمع (علم) ، و العلم : معرفة الشيء على الحقيقة التي هو عليها ظنا أو يقينا . قال ابن فارس (ت : 395) : " العين و اللام و الميم أصل صحيح واحد ، يدلّ على اثر بالشيء

عن غيره " و كلّ ما ذكر من معاني هذه الكلمة لا تخرج في مجملها عن الاصل كقولهم : المعرفة و اليقين و الشعور ، و الإتقان ، و الإخبار و الشقّ ، و البروز ، و اللافت ، و الأثر و المنار و الجبل الطويل و العلامة .

و أكثر ما تستعمل هذه الكلمة " علم " في : المعرفة و اليقين ، ولهذا قالوا أيضا في تعريفه هو نقيض الجهل¹ . و العلم بهذا التعريف يقرب من معنى (المعرفة) ، لكن في دلالة لفظ (العلم) من جهة اللغة ما يدل على أنه أوسع في المدلول عليه من لفظ (المعرفة) ، و هو موجود في كتب الفروق اللغوية و غيرها² . و أما (العلم) في الاصطلاح فهو يطلق على المسائل المضبوطة ضبطا خاصا³ ، و نعني به تمايز كل علم بالنظر في موضوعاته و مسأله .

ب. معنى القرآن : القرآن في اللغة مأخوذ من مادة قرأ ، بمعنى تلا ، و هذا ظاهر من استخدام هذا اللفظ و مشتقاته من كلام الله سبحانه ، و في كلام رسوله ، و في كلام الصحابة الذين نزل عليهم القرآن⁴ .

و القرآن في الاصطلاح : كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، المتعبد بتلاوته ، المعجز بأقصر سورة⁵ .

معنى علوم القرآن : تحتل إضافة العلوم إلى القرآن احتمالين :

¹ - معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس ، بن زكريا، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، 1429 هـ / 2008 ، ص: 663.

² - للتوسع في الفرق بين العلم و المعرفة ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ، الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني كشاف الاصطلاحات للتهانوي .

³ المحرر في علوم القرآن ، مساعد بن سليمان الطيار ، مركز الدراسات و المعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط8 ، 2018/1439 ، ص 20.

⁴ سيأتي تفصيل المعنى اللغوي للقرآن في المحاضرة الثالثة .

⁵ - وردت تعاريف كثيرة للقرآن ، ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، 14/1.

الأول : معنى عام : هو ذلك العلم الذي يخدم دراسة القرآن الكريم من جوانب عديدة ، فأى معلومة نصّ عليها أو أشار إليها فهي من علومه ، و هذا المعنى ليس هو المراد بإطلاق علوم القرآن في الاصطلاح .

الثاني : معنى خاص : جملة من أنواع المعلومات المضبوطة ضبطا خاصا متعلقة بالقرآن الكريم من حيث نزوله و جمعه و قراءاته و مكّيه و مدنيه و أسباب نزوله ، و ما إلى ذلك ¹.

و قد عرّفه فهد الرومي تعريفا مختصرا فقال : "مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، و جمعه و قراءاته و تفسيره ، و ناسخه و منسوخه ، و أسباب نزوله ، و مكّيه و مدنيه و نحو ذلك " 2

" فهو إذا علم يضم أبحاث كلية تتصل بالقرآن العظيم من نواحي شتى يمكن اعتبار كل واحد منها علما متميزا " .

و منه يمكن حصر البحث في علوم القرآن في خمسة محاور (موضوعات كبرى) :
المصدر ، النزول ، الحفظ ، النقل ، البيان . يذهب بعض المعاصرين إلى تقسيم موضوعات علوم القرآن على حسب السياقات :

- 1- السياق السببي : و يدرجون تحته باب نزول القرآن و أسبابه .
- 2- السياق المكاني : و يذكرون فيه باب القرآن المكّي و المدني .
- 3- السياق التراتبي : خصّصوه لأوّل و آخر ما نزل من القرآن الكريم ، و كذلك النَّاسخ و المنسوخ .
- 4- السياق التداولي : جعلوه للقراءات القرآنية ، مفهومها ، و أنواعها و الحكمة منها .

¹ المحرر الوجيز في علوم القرآن ، مساعد بن سليمان الطيار ، ص29.

² دراسات في علوم القرآن ، فهد الرومي ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، ط14 ، 1426هـ/2009م ، المملكة العربية السعودية ، ص 32.

ثانيا : نشأة علوم القرآن و تطوره :

كسائر العلوم الشرعية مر علم علوم القرآن بمراحل أهمها :

1. ما قبل التدوين : ترتبط نشأة علوم القرآن ببدء نزول القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، و تلاوته على الناس ، و أمره أصحابه بكتابه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الوحي من الله ، و قد تكفل الله بجمع القرآن في صدره ؛ ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ، [القيامة :17].

أما الصحابة رضوان الله عليهم فقد كانوا عربيا خلصا يتمتعون بقوة الحافظة و تذوق الأساليب البليغة ، و صفاء الفطرة ، الأمر الذي جعلهم يفهمون ما ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و إذا أشكل عليهم شيء من كتاب الله سألوا النبي صلى الله عليه وسلم .

و لكن هذه المعارف بالقرآن و علومه لم تدون و لم تجمع في مصنفات في ذلك العصر ، إذ كان التعويل على التلقي (المشافهة) و على الحفظ (الصدر) و لم تكن أدوات الكتابة ميسورة لديهم ، فلم تكتب علوم القرآن ، و لم يكتب الحديث لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أول الأمر عن كتابة غير القرآن و كان القصد من هذا النهي مخافة أن يختلط بالقرآن الكريم ما ليس منه .

و ظلت علوم القرآن تروي بالتلقين و المشافهة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم زمن أبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حتى كانت خلافة عثمان رضي الله عنه ، ثم بدأ اختلاط العرب بالأمم الأخرى نتيجة اتساع رقعة الإسلام و انتشاره مما دفع عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى نسخ المصاحف و جمع المسلمين على " مصحف إمام " خوفا من اختلاف في فهمه و تأويله و يؤدي ذلك إلى تنازع المسلمين و تفرقهم ، و يعد ذلك تأسيسا لعلم من علوم القرآن ، سمي فيما بعد علم " رسم القرآن " أو " الرسم العثماني " ، ثم جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه و لاحظ العجمة و اللحن في قراءة القرآن ، فأمر أبا الأسود الدؤلي (ت:69هـ) بوضع القواعد اللازمة للغة القرآن ، و بعد ذلك وضع علم " إعراب القرآن " .

2. مرحلة تدوين علوم القرآن :

يمكن الكلام عن مراحل تدوين علوم القرآن و نشأته باعتبار الفترات الزمنية ، أو باعتبار الكتب المؤلفة و عليه يمكننا إجمال تطور التدوين في علوم القرآن إلى أربعة مراحل :

المرحلة الأولى : إلى نهاية القرن الثاني (200هـ) ، كانت تتمثل علوم القرآن في وجود روايات شفاهية يتناقلها التابعون على الصحابة ، و أتباع التابعين عن التابعين ، و أتباع أتباع التابعين عن أتباع التابعين حتى يصل السند إلى قائله من هذه الطبقات الثلاث ، و قد دونت مجموعة من الكتب في هذه المرحلة في روايات التفسير و كتبه سواء كتبا جزئية للتفسير ، كتفسير مجاهد بن جبر (ت:104هـ) ، و كتب شاملة لجميع القرآن ، كتفسير مقاتل بن سليمان (ت:150هـ) ، و تفسير يحيى بن سلام (ت:200هـ) .

ووجدت كذلك في هذه المرحلة كتب مفردة في نوع من أنواع علوم القرآن ففي نزول القرآن : كتب فيه الضحاك بن مزاحم (ت:105هـ) ، عكرمة (ت:105هـ) ، الحسن البصري (ت:110هـ) .

و في النسخ المنسوخ : نجد قتادة (ت:117هـ) ، مقاتل بن سليمان (ت: 150هـ) و غيرها من الكتب .

المرحلة الثانية : الجمع الجزئي لعلوم القرآن من القرن الثالث إلى ظهور كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت:794هـ) .

فألف في النسخ و المنسوخ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت:224هـ) ، و فهم لقرآن للهارث المحاسبي (ت:243هـ) ، و ألف علي بن إبراهيم بن سعيد المعروف بالحوفي (ت: 430 هـ) كتاب "البرهان في تفسير القرآن" و ألف عبد الرحمن بن الجوزي (ت:597هـ) كتابا سماه " فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن" لكن لم يصل كتاب متكامل يقصد جمع كل علوم القرآن .

المرحلة الثالثة : الجمع الكلي من كتاب " البرهان في علوم القرآن " للزركشي (ت:794هـ) إلى كتاب " الإفتان في علوم القرآن) للسيوطي (ت:911هـ).

ففي القرن الثامن الهجري برز بدر الدين الزركشي بكتابه " البرهان في علوم القرآن " ، الذي يعد مصدرا و عمدة الباحثين في علوم القرآن ، و ذكر فيه سبعة و أربعين علما من علوم القرآن ، و الناس من بعده عيال عليه ، و ألف البلقيني (ت : 824 هـ) " مواقع العلوم في مواقع النجوم " ، ثم جاء جلال الدين السيوطي فصنف كتابه " الإِتقان في علوم القرآن " و بناه على البرهان ، و زاد في علومه حتى أوصلها ثمانين علما .

المرحلة الرابعة : ما بعد الاتقان إلى العصر الحديث

و من أهم الكتب المعاصرة في علوم القرآن :

- 1- مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت:1367هـ) .
- 2 - مباحث في علوم القرآن ، لمناع خليل القطان (ت:1420هـ) .
- 3 - المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، عبد الله الجديع .
- 4 - المحرر في علوم القرآن ، مساعد بن سليمان الطيار و غيرها من الكتب .
- 5 - مباحث في علوم القرآن ، الشيخ صبحي الصالح.
- 6 - البيان في مباحث علوم القرآن ، الشيخ عبد الوهاب غزلان .
- 7 - الواضح في علوم القرآن ، الشيخ مصطفى ديب البغا ، الشيخ محي الدين مستو .
- 8 - علوم القرآن ، الشيخ نور الدين عتر .
- 9 - إتقان البرهان في علوم القرآن ، الشيخ فضل حسن عباس .
- 10 - التّبيان في علوم القرآن للشيخ طاهر الجزائري (ت : 1338 هـ) .
- 11- علوم القرآن بين البرهان و الإتقان دراسة موازنة للشيخ حازم سعيد حيدر.

ثالثا : أهمية علوم القرآن

هذا العلم له فوائد جليلة نجملها فيما يلي :

1. إنه يساعد على فهم القرآن الكريم الفهم الصحيح و التعمق في إدراك معانيه و معرفة أحكامه و حكمه .

2. يزود الدارس بجملته من المعارف المتعلقة بالقرآن الكريم .

3. دفع و دحض مفتريات و شبهات أعداء القرآن و ابطال مزاعمهم حول القرآن الكريم .

4. لقد كان للقرآن الكريم و علومه أثرا بالغا في تطور اللغة العربية و آدابها ، حيث ظهرت

أساليب القرآن و ألفاظه شعرا و نثرا و كتابة و خطابة .

5. يبرز الجهود الكبرى التي بدلها علماء الأمة على مرّ العقود و القرون و لحفظ كتاب الله

عز وجل و خدمته . جزى الله بالخيريات عنا أئمة ، لنا نقلوا القرآن عذبا و سلسلا¹. أنّ الدارس لهذا

العلم يكون ذا حظ كبير و قسط و خير من الثقافة القرآنية ، و ما اشتمل عليه القرآن من معارف و

علوم تزكي نفسه و تنور عقله².

6- إنّ الجهل بهذا العلم يتعدّر معه فهم حقيقة كلام الله تعالى و مراده ، و يوقع في الزلل و

الخطأ في تفسير كلام الله عزّ و جل.

7- إنّ الدارس لهذا العلم يكون ذا حظ كبير و قسط و فير من الثقافة القرآنية ، و ما اشتمل

عليه القرآن من معارف و علوم تزكي نفسه و تنور عقله³ .

8 - و أمّا عن أهيمّة القرآن الكريم و علومه الدراسات اللغوية و الأدبية فالقرآن

الكريم معجزة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، تحدّى به الله تعالى الإنس و

الجنّ فقال : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس و الجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون

بمثله بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [الإسراء : 88] و تحدّى به العرب و هم أهل فصاحة و

بيان

أن يأتوا بمثله فقال : ﴿ و إن كنتم في ريب ممّا أنزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا

شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : 23]

ثمّ تدرج معهم في التّحدي إلى مقام أقلّ بأن يأتوا بعشر سور فقال : ﴿ أمّ يقولون افتراه

قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفترياتٍ و ادعوا من استطعت من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [

¹ - متن الشّاطبية حرز الأمانى و وجه التّهاني في القراءات السّبع ، البيت العشرون .

² - من علوم القرآن ، عبد الفتاح القاضى ، ص 6-7.

³ - من علوم القرآن ، عبد الفتاح القاضى، ص 6 - 7 .

هود : 13] بل تحدّاهم بأن يأتوا بسورة واحدة فقال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : 23] .

و العربية هي اللغة التي اختارها الله تعالى لخاتمة رسالاته فأنزل القرآن الكريم

بلسان عربي مبين قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيْنَا أَعْرَبِيًّا فَعَلَّمَ الْجُمُنَانِ الْفَصْلَ الْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلَ الْإِنشَاءَ الْكَبِيرَ ﴾ [يوسف : 2/1] و قال أيضا : ﴿ حَمْدٌ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ إِنَّ الدَّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةَ وَ الأَدَبِيَّةَ مَا عَرَفَتْ هَذَا التَّنْظِيرَ فِي التَّقْعِيدِ وَ التَّأْصِيلِ إِلَّا فِي ظِلِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَجَدَ فِيهِ البَاحِثُونَ ضَالَتَهُمْ ، فَهُوَ

قَمَّةٌ فِي فَصَاحَتِهِ وَ بِلَاغَتِهِ وَ بَيَانِهِ ، فِي نَظْمِهِ ، لَا يَجَارِيهِ مَعْجَزٌ بِلَفْظِهِ وَ مَعْنَاهُ بَلْ وَ فِي ذَلِكَ فَصَاحَةٌ أَيْ نَصٌّ ، بَلْ هُوَ مَقْيَاسٌ لَهَا ، وَ جُودَةٌ أَيْ نَصٌّ أَدَبِيٌّ إِنَّمَا نَقَاسٌ بِمَقْدَارِ قَرِيبِهَا أَوْ بَعْدَهَا عَنِ فَصَاحَتِهِ وَ بِلَاغَتِهِ وَ لَا رَيْبَ فَهُوَ أَصْلُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِكُلِّ مَسْتَوِيَّاتِهَا ، فَكَيْفَ بَنَا نَدْرَسَ هَذَا الْفَنَّ .

- الدَّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةَ وَ الأَدَبِيَّةَ - فِي مَنَآئِ عَنِ أَصُولِهِ .

لَا شَكَّ أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ إِنَّمَا حَفِظَتْ وَ ضَمِنَ لَهَا الْبَقَاءَ ، بِحِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 9]

علم النَّحْوِ وَ هُوَ مِنْ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ نَشَأَ لِصِيَانَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ اللَّحْنِ ، وَ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ عِلْمِ الْمَعَانِي وَ عِلْمِ الْبَيَانِ وَ عِلْمِ الْبَدِيعِ إِنَّمَا نَشَأَتْ وَ تَطَوَّرَتْ بِأَقْسَامِهَا فِي أَحْضَانِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَ مِنْهُ أَخَذَتْ مَعَالِمَهَا فَفِيهِ يَجِدُ أَهْلُ كُلِّ فَنٍّ ضَالَتَهُمْ ، فَكَيْفَ يَسْتَغْنِي عَنْهُ أَهْلُ اللُّغَةِ وَ الأَدَبِ .

9- أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ أَسَاسٌ وَ مَرْتَكِزٌ مَعْرِفِيٌّ قَاعِدِيٌّ وَ ضَرُورِيٌّ لِفَهْمِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهَمَا

سَلِيمَا ، وَ زَادَا لِمَنْ يَرِيدُ التَّصَدُّرَ لِدَفْعِ الشَّبَهَاتِ عَنْهُ ، لِأَنَّ لِعُلُومِ الْقَرْنِ أَصْبَحَتْ تَتَحَصَّرُ فِي شَعْبَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ :

أولاهما : تاريخ القرآن و ما ينضوي تحته من نزوله ، و أسباب الزول ، و النَّاسِخِ وَ الْمُنْسُوخِ

، وَ غَيْرِ ذَلِكَ .

و ثانيهما : الوسلة الصّحيحة لفهمه على الوجه الحق ، و ينضوي تحت ذلك علوم اللغة و الإجاز المحكم و المتشابه . لذلك وجب على من يريد التّعامل مع القرآن الكريم أن يلمّ بهاتين المقدمتين و بمقدار ما

يجانبهما سيجانب الحق والصّواب.

و في ختام هذا المبحث يجدر التّبيه على مسألة متعلّقة بتعريف علوم القرآن ، فد سلك المصنّفون فيه اتّجاهين : اتّجاه أثري يرى فيه أنه علوم تمّ ضبطها و تحديد مفاهيمها ، و اتّجاه معاصر يجمع إلى ذلك وظيفة لعلوم القرآن تتمثل في الدّفاع عن القرآن الكريم انطلاقا من معرفة مباحث علوم القرآن .

المحاضرة الثانية :

1. معنى الوحي :

أ. الوحي لغة :

قال ابن فارس (ت:395هـ): " الواو و الحاء و الحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في خفاء ، أو غيره إلى غيرك ، فالوحي : الإشارة ، و الوحي : الكتاب و الرسالة ، و كل ما ألقىته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي ، كيف كان"¹.

و قريب من ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني (ت:502هـ) : " أصل الوحي : الإشارة السريعة ، و لتضمن السرعة قيل أمروحي ، و ذلك يكون بالإعلام على سبيل الرمز و التعريض ، و قد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح ، و بالكتابة ..."².

و قال الزمخشري (ت:538هـ) : " أوحى إليه و أميء إليه بمعنى ، أوحيت إليه ، و أوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره "³.

و بناء عليه فالوحي بالمعنى اللغوي يشمل ستة أنواع :

1. الإشارة السريعة على سبيل الرمز و الإيحاء : و منه قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ . [مريم:10] .

2. الإلهام الفطري للإنسان : و منه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَاِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : 07] .

3. الإلهام الغريزي للحيوان : و منه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل : 68] .

4. وسوسة الشيطان و تزيينه الشر في نفس الإنسان : و منه قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا ﴾ [الانعام : 112] .

¹ مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مادة " وحي" ، ص 1046 .

² مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص 538 .

³ أساس البلاغة ، الزمخشري ، 324/2 .

و كذلك قوله سبحانه ﴿ و إِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام : 121

.]

5. ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه : و منه قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ

الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال : 12] .

6. الأمر الكوني للجمادات : و منه قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأُخْرِجَتِ

الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [

الزلزلة : 1-5] .

ب. تعريف الوحي شرعا : الوحي في الاصطلاح أو بلغة القرآن و السنة ورد فيه عدة تعاريف

حوتها كتب علوم القرآن و أنا هنا أنتخب تعريفا مختصرا جامعا لمن سبقه ، فقد عرفه مساعد بن

سليمان الطيار بقوله : " إعلام الله لنبي من أنبيائه -بكيفية معينة- بنبوته ، و ما يتبعها من أوامر

و نواه و أخبار " ¹

2. كيفية الوحي :

ورد لفظ الوحي في القرآن الكريم في مواضع كثيرة بلفظ الوحي و مشتقاته ، و قد ذكرت آية

الشورى أنواع الوحي الذي يكلم الله به أنبياءه عليهم الصلاة و السلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

فَيُوحِي بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : 51] .

ذكرت هذه الآية ثلاث أنواع من انواع الوحي ، و هي كالاتي :

النوع الاول :

¹ المحرر في علوم القرآن ، مساعد بن سليمان الطيار ، ص 63.

و هو ما يلقيه الله في قلب النبي من كلام فيوقن أنّ هذا من الله تبارك و تعالى بكيفية غير معتادة فيعيه ، و منه ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إنّ روح القدس نفث في روعي أنّ نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها و تستوعب رزقها فاتقوا الله و اجملوا في الطلب " ¹.

النوع الثاني

أن يكلمه مباشرة من وراء حجاب ، فلا يرى النبي ربه ، لكن يسمع كلامه ، و قد وقع هذا لموسى عليه السلام في بدء وحيه ، و في ميغاده مع ربه لأخذ الشريعة التي كانت في الألواح .
و حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في معراجيه ، حيث أخذ الأمر بالصلاة عن ربه مباشرة ، و هذا النوع هو المشار إليه بقوله : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ .

النوع الثالث :

هو ما يكون بواسطة الملك جبريل عليه السلام و هو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بآذنيه ما يشاء ﴾ .

3. خصائص الوحي :

لظاهرة الوحي خصائص تميزها عن الأعراض الأخرى التي قد تعرض للناس و يمكن إجمالها فيما يلي :

أ. فهي ظاهرة تأتي الرسول من دون تكلف و لا تصنع و لا تحضير ، إنما أمر يأتي الرسول من غير اختيار منه ، و قد يطلب الرسول الوحي فلا يأتيه ، و كثيرا ما كان يأتيه مفاجئا دون سابق تطلع نفسي له .

ب. و هي ظاهرة مصحوبة بحالة من وعي كامل من الرسول فهي لا تشبه حالات الإغماء أو النوم أو الغيبوبة المرضية بوجه من الوجوه ، و قد أثبت ذلك أصحابه حينما يأتيه الوحي و هم معه .

¹ ينظر صحيح الجامع ، الألباني رقم 2085 من حديث أبي أمامة الباهي

ج. و هي ظاهرة تصاحبها حالة تامة و قوة كاملة في ذاتية الرسول و جسده فهي تخالف

تماما حالات الأعراض المرضية التي يضطرب بها الجسم .¹

4. شبهات حول ثبوت الوحي :

لما كان الوحي هو الأساس في تلقي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم القرآن عن ربه ، كان هو أول شيء تثار حوله الشبهات و المزاعم ، إذ أنكره جهلة العرب قديما و ملحدوا العصر حديثا ، ولم يختلف المحدثون عن القدامى إلا في المصطلحات ، و قد ذكر القرآن طرفا من كذبهم ، فقد قال القدامى عن القرآن : ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان : 04] .

﴿ وَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : 05]

كما وصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء : 05] ، ووصفوه بأنه مسحور فقالوا : ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الاسراء : 47] .

ووصفوه بأنه مجنون فقالوا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر : 06].

أما ملحدوا العصر فقال بعضهم :

1. أن محمد قد تعلم القرآن الكريم من غيره ، فزعموا أن مصدر القرآن مجتمعه و بيئته التي عاش فيها ، و قال آخرون إنما اكتسبه عن اليهود و النصارى و أفاده من التوراة و الانجيل ، و قال غيرهم إنما أخذه في اسفاره للتجارة . 2. أن ما يسميه محمد وحيا إنما هو كاشفة لأو وحي نفسي .

3. إن هذا القرآن من تأليف و ابتكار محمد فهم يزعمون أن يكون القرآن من عنده ، إلى

غيرها من الشبهات .

¹ الوجيز في علوم القرآن الكريم ، منصور كافي ، ص 29.

يقول الدكتور عبد الله دراز : " هذا الرأي هو الذي يروجه الملحدون اليوم باسم " الوحي النفسي " زاعمين أنهم بهذه التسمية قد جاءونا برأي علمي جديد و ما هو بجديد و إنما هو الرأي الجاهلي القديم لا يختلفون عنه في جملته و لا تفصيله ، فقد صوروا النبي صلى الله عليه وسلم رجلا ذا خيال واسع و احساس عميق فهو إذا شاعر ، ثم زادوا فجعلوا وجدانه يطغى كثيرا على حواسه حتى يخيل إليه أنه يرى و يسمع شخصا يكلمه .

و ما ذلك الذي يراه و يسمعه إلا صورة أخيلته ووجداناته ، فهو إذا الجنون أو أضغاث الأحلام على أنهم لم يطبقوا الثبات طويلا على هذه التحليلات فقد اضطروا أن يهجروا كلمة " الوحي النفسي " حينما بدا لهم في القرآن جانب الأخبار الماضية و المستقبلية ، فقالوا لعله تتقفا من أفواه العلماء في أسفاره للتجارة ، فهو إذا قد علمه بشر ، فأبي جديد ترى في هذا كله ؟ أليس كله حديثا مُعادا يضاھون به قول جهال قريش ؟ و هكذا كان الألحاد قي ثوبه الجديد صورة منسوخة بل ممسوخة منه في أقدم أثوابه ، و كان غذاء هذه الأفكار المتحضرة في العصر الحديث مستمدا من فتات الموائد التي تركتها تلك القلوب المتحجرة في عصور الجاهلية الأولى ، قال تعالى :

﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة : 118]¹.

رحم الله عبد الله دراز فقد أجاد و أفاد في كتبه في الرد على شبهات المستترقين و من سار في فلكهم من حدائث العرب و غيرهم ، و يكفي في إبطال هذا المزاعم و اثبات صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن نعود إلى سيرته و نقف معها هذه الوقفات :

1. أنه كانت تنزل عليه النوازل ، و مع ذلك يبقى ينتظر أياما و ليالي نزول القرآن في شأنها و أكبر مثال على ذلك حادثة الإفك .

2. كانت آيات كثيرة تنزل على الرسول تعاتبه نحو ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك ﴾ و غيرها من الآيات ، فلو كان القرآن من عنده لما عاتب نفسه و لسترها .

¹النبأ العظيم ، محمد عبد الله دراز ، دار العلم للنشر و التوزيع ، ط7 ، 1993 ، ص 67.

3. كان حين ينزل عليه القرآن يتلقاه متوجلا خشية أن يفوت منه شيء فلو كان القرآن من عنده لما كانت له حاجة إلى ذلك التعجيل و تحريك لسانه طلبا لحفظه و خشية ضياعه قال تعالى : ﴿وَلَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ...﴾¹.

4. و لو كان كاذبا كما زعموا ما الذي يمنعه أن يدعي علم الغيب بل كان يقول ما أدري و أنا رسول الله ما يفعل بي ، قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأعراف:188].

¹ ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني و كذلك روائع القرآن ، محمد سعيد رمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة ، ص29 ، علوم القرآن ، أحمد العلمي ، دار ابن حزم ، ط1 ، 1422هـ/2001م ، ص 24.

المحاضرة الثالثة :

التعريف بالقرآن الكريم

أولا : التعريف اللغوي للقرآن الكريم

ثانيا : القرآن في الاصطلاح

ثالثا : أسماء القرآن

رابعا : أوصاف القرآن

خامسا : الفرق بين الحديث القدسي و القرآن

لكلمة القرآن الكريم معنى لغوي و اصطلاحي

أولا : التعريف اللغوي

تعددت الأقوال في معنى القرآن و مرد هذا الخلاف إلى اعتبارين اثنين هل هو مهموز أم غير

مهموز ؟ و هل هو مشتق أم لا ؟

و يمكن حصر هذه الأقوال في ستة آراء :

1. ذهب أبو الحسن علي بن حزم اللحياني (ت:215هـ) إلى أن كلمة قرآن مصدر مشتق من فعل " قرأ " بمعنى تلا فالقرآن بمعنى التلاوة ، و هي القراءة ، تقول قرأت قرآنا أو قراءة ، فهما بمعنى واحد أي التلاوة فالقرآن على وزن " فعلان " بالضم كالغفران و الشكران و التكلان و كالبرهان من برهن برهانا .¹

و استدل لهذا القول بقوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة] [16-18].

قال محمد عبد الله دراز : " وروعي في تسميته قرآنا كونه مثلوا بالألسن كما روي في تسميته كتابا كونه مدونه بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه و في تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية يحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، أعني أنه يجب حفظه في الصدور و السطور جميعا "².

2. ذهب محمد بن ادريس الشافعي (ت:204هـ) إلى أن لفظ " قرآن " ليس مشتقا و لا مهموزا (أي قران) بل ارتجل و وضع اسما للكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كما ارتجل لفظ التوراة و لفظ الانجيل .

و دليل هذا القول : لو كان القرآن مشتقا من فعل " قرأ " لأمكن إطلاق لفظ القرآن على كل ما هو مقروء ، و من ثم كان تأليفا بشريا ، و هذا لا يجوز ، فالقرآن عند الشافعي لم يؤخذ من " قرأت " و لو أخذ من " قرأت " لكان كل ما قرئ قرآنا ، و لكنه اسم للقرآن ، مثل التوراة و الانجيل .³

¹ النبأ العظيم ، محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ، ط7 ، 1993 م ، ص12.

² المرجع نفسه ، ص12-13.

³ ينظر : هدى الفرقان في علوم القرآن ، غازي عناية ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1983 م ، ص20.

قول الزّجاج (ت:311هـ) أن لفظ " قرآن " مهموز على وزن فعلان ، مشتق من قرأ بمعنى جمع ، و منه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه فيه ، لأنّه جمع ثمرات الكتب السابقة¹.

4. ذهب أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (ت:324هـ) ، و أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224 هـ) إلى أن لفظ " قرآن " مشتق من " قرن" بمعنى ضم ، فالقرآن و القرن بمعنى واحد و هو الضم

و استدل أصحاب هذا القول بأن هذا الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم سمي قرآنا لأن السور و الآيات تقرن فيه و يضم بعضها إلى بعض².

5. ذهب القرطبي (ت:676 هـ) إلى أن لفظ القرآن بغير همز - أي قران - مأخوذ من "قرن" بمعنى "دل" فالقرآن بمعنى القرائن .

و دليله أنّ الآيات يصدق بعضها بعضا و يشابه بعضها بعضا فهي إذن قرائن³.

6. و قال عبد الوهاب حمودة أنّ القرآن أصله من اللغة الآرامية ثم دخل العربية قبل الإسلام منذ زمن طويل⁴ : هذا القول و إن كان بعيدا إلاّ أنّي أوردته لأنّبه على المسائل الآتية لأهميّتها :

الأولى : لقد جاء في القرآن النص الصّريح على عربيّته في آيات كثيرة أذكر منها :

قوله تعالى : ﴿و هذا لسان عربيّ مبين﴾ [النحل : 103] .

و قوله تعالى : ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلمك تعقلون﴾ [يوسف : 2] .

و قوله تعالى : ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ [الزمر : 28] .

و قوله تعالى : ﴿نزل به الرزوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾

[الشعراء : 193-195] .

¹ مباحث في علوم القرآن ، صبحي صالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط16 ، 1985 ، ص :19.

² البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، 277/1.

³ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، 278/1.

⁴ الوجيز في علوم القرآن ، منصور كافي ، ص :10.

الثانية : وجود بعض الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم مسألة خلافية مشهورة و مدونة في كتب علوم القرآن ، و مقدمات كتب التفسير ، أجملها السيوطي (ت: 911 هـ) في " الإتيان في علوم القرآن " و حصرها في ثلاثة أقوال .

الثالثة : على القول بوجود كلمات أعجمية في القرآن الكريم من غير الأعلام فهذا مما تواردت عليه اللغات فهي مما تكلم به العرب ، و هي كلمات يسيرة معدودة ، و فوق ذلك يرى علماء اللسانيات أن التوافق و التداخل و الاشتراك بين اللغات في بعض الكلمات أمر شائع و معروف و مألوف ، كحال اللغات السامية :

العبرية ، السريانية ، و العربية .

قال عبد الله القرطبي (ت: 676 هـ) في مقدمة تفسيره ، باب هل ورد في القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب أولا ؟ " لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب ، و أن فيه أسماء أعلاما لمن لسانه العرب كإسرائيل و جبريل و عمران و نوح و لوط .

و اختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب فذهب القاضي أبو بكر بن الطيب و الطبري و غيرهما إلى أن ذلك لا يوجد فيه ، و أن القرآن عربي صريح ، و ما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب و الفرس و الحبشة و غيرهم ، و ذهب بعضهم إلى وجودها فيه ، و أن تلك الألفاظ لقلتها لا تخرج القرآن عن كونه عربيا مبينا" ¹

الرابعة : جعل المستشرقون و من سلك مسلكهم وجود بعض هذه الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم ذريعة للتشكيك في عربية القرآن الكريم كما صنع كريستوف لكسنبرغ [Christop Luxenberg]

¹ - الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله القرطبي 73/1.

في دراسته التي سمّها : " قراءة آرامية آشورية (سريانية) للقرآن [The syro – Aramaic Reding of the Koran] الذي زعم أنّ كلمة " قرآن " هي نفسها مشتقة من " قريانا " و هو تعبير سرياني من الطقسيات أو الليتورجيا (Litirgy) السريانية و الذي يعني : " كتاب الفصول Lectionory " أي كتاب القرات الطقسية .

و هذه الدّراسة لقيت ردودا و إنكارا من الباحثين الغربيين قبل المسلمين لتهافتتها و هشاشتها و بعدها عن التّحقيق و البحث العلمي ، و ممن كتبوا ردودا على هذه الدّراسة :

Patricia Crone و Kroes Richard , François de blois ، بل حتّى تيودور نولدكه [Theodor Noldeke] الذي هو أصلّ هذه الشّبهة في كتابه تاريخ القرآن [The History Qur`an] يقول أنّ كلمة " قريانا " لم تكن في السّريانية القديمة بل هي كلمة منحوتة حديثا في السّريانية .

الخاتمة : أنّ كلمة " قرآن " على وزن " فعلان " و هذا المصدر ليس له وجود في السّريانية القديمة و منه نجزم أنّ هذه الكلمة عربية فصيحة.

وبعد استعراض هذه الأقوال يمكننا القول أن الراجح هو ماذهب إليه كثير من العلماء بأن كلمة القرآن مشتقة من "قرأ" بمعنى "تلا" ، أما باعتبار كونه مهموز أو غير مهموز¹ ، فكليهما صحيح لأن القراءة الصحيحة المتواترة تبتث بالاثنين .

و خلاصة لهذا المبحث نقول أن القرآن في لغة العرب : مصدر كالقراءة و معناه الجمع ، و سمي القرآن الذي أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا ، لأنه يجمع السور و يضمّها .

و هو اسم للكتاب العربي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم و المكتوب في المصاحف ، المبتدأ بالفاتحة ، و المختتم بسورة الناس .

بيقول مساعد بن سليمان الطيّار : " اعلم أنّه لا يلزم طالب العلم التّدقيق في تعريف المصطلحات الشرعية و لا المشهور بين الناس ، كتعريف القرآن ، و الصّلاة و الرّكاة و الحج ، و

¹ قراءة عبد الله بن كثير المكي (ت): (هـ) و هي قراءة سبعية متواترة .

غيرها ممّا يعلمه المسلم بالتّطبيق ، فإنّ تعريف مثل هذه لا يخلو من ملاحظة علمية من جهة التعريف ، فضلا عن أنّ تعريف الواضحات يدخلها في المشكلات ، فبدلا من وضوحها تنقلب إلى مسألة مشكلة ، و تحرير هذه المصطلحات لا يُووثر في العلم شيئا الاغلب الاعم¹ .

ثانيا : القرآن في الاصطلاح

تعددت تعريف القرآن و يمكننا أن نعرفه أنه : "

كلام الله تعالى ، المعجز باللسان العربي ، المنزل على خاتم الأنبياء و المرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام بالسان العربي ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة و المختوم بسورة الناس ، فهو كلام الله : قيد لإخراج ما سواه من كلام الأنبياء و الملائكة و البشر و كذا لبيان مصدره و عظّمته.

• المعجز : للدلالة على أنّه المعجزة الباقية و العظيمة للرسول صلى الله عليه و سلم و التي تحدّى بها أعداءه و تحدّى بها الكفّار ، كما أخرج بها الأحاديث التي لم تكن محلّ التحدي .

• المنزل على خاتم الأنبياء و المرسلين : سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم قيد لإخراج كلام الله تعالى المنزل على بقيّة الأنبياء كالنّوراة و الإنجيل .

• بواسطة الأمين جبريل عليه السّلام : ضبط لبيان طريق وصول القرآن الكريم إلينا بالوحي الجليّ.

• باللسان العربي : خاصيّة للقرآن الكريم ، فهو لا يعدّ قرآنا بخلافه ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف 03].

• المنقول إلينا بالتواتر قيد مخرج لما نقل بطريق الأحاد من بعض الآيات و القراءات ، و كذا لإثبات صحّة نزوله و تبليغه و نقله عبر الأجيال ، و استحالة وقوع الخطأ في روايته.

• المتعبد بتلاوته : خاصيّة للقرآن الكريم دون غيره من الأحاديث و سائر كلام البشر ، أي يتقرّب به إلى الله تعالى بالتلاوة و بالصّلاة ، و يؤجر المسلم على ذلك.

¹ - المحرر في علوم القرآن ، مساعد بن سليمان الطيّار ، الهامش 2 ، ص : 22 .

كما أن الجزء منه كآية أو نحوها يسمّى (قرآنا) أيضا كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : 204] ، و هذا مراد به بعض القرآن .

ثالثا : أسماء القرآن

سمي الله تعالى القرآن العظيم بأسماء ، و نعته بنعوت ، و كثرة الأسماء تدل على شرفه و علو منزلته ، فمن أسمائه

1. القرآن : قال الله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : 185] .

2. الفرقان : قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [الفرقان : 01]

3. الكتاب : قال تعالى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة : 02]

4. الذكر : قال الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 09] .

5. الوحي : قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنزِلْتُ بِالْوَحْيِ ﴾ [الأنبياء : 45] .

6. التنزيل : قال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : 192] .

7. القصص : قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [آل عمران : 62]

8. الروح : قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى : 49]

9. المثاني : قال تعالى ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي ﴾ [الزمر : 23]

10 . كلام الله : قال تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : 06]

11. المصحف : و هي تسمية ظهرت بعد أن جمع القرآن في عهد الصديق ، و لم يثبت

حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قوله في إطلاق هذه التسمية على القرآن المجموع فيما بين الدفتين ، لأنه لم يكن في عهده بين دفتين على هيئة المصحف .

و لم تكن العرب تعرف لفظة المصحف بمعنى الكتاب الذي يجمع بين دفتيه صحفا مكتوبة ، و إنما هو اسم أطلق على القرآن الكريم بعد جمعه بين الدفتين في عهد أبي بكر الصديق ، و أصبح علماً على القرآن الكريم. فيقال : قرأت المصحف ، و يجمع على مصاحف ، و هو مثلث الميم يجوز فيه : الضمّ و الفتح و الكسر و الضمّ أشهر. و قد تكون هذه التسمية نسبة لأبي بكر باعتبار حصولها في زمنه رضي الله عنه ، كما سمّي المصحف الذي جمع في عهد عثمان بالمصحف العثماني و إن لم يكن هو الذي كتبه بيده رضي الله عنه.

قال العلامة طاهر الجزائري : " و قد أنهى بعضهم أسماء القرآن إلى نيف و خمسين ، و بعضهم إلى نيف و تسعين ، و قد أفرد ذلك بعضهم بالتصنيف " ¹.

رابعاً : أوصاف القرآن

و أمّا ما ذكر الله عزوجل من أوصاف لكلامه المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فكثير : فهو هدى و شفاء و رحمة ، و موعظة ، و ذكرى ، و بشرى ، و نذير ، و بيان ، و روح ، و نور ، و مبين ، و مفصلّ ، و مبارك ، و بصائر ، و كريم ، و علي ، و حكيم ، و عزيز ، و مجيد ، و قيّم ، و أحسن الحديث و غير ذلك من الصفات الدالة على عظمته و منزلته و رفيع قدره مما اقترن بذكره أو عند الإشارة إليه في كتاب الله تعالى و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

خامساً : الفرق بين الحديث القدسي و القرآن

قال الله تعالى : ﴿ و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : 3-4]

فكل ما يبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عزوجل إنما هو عن طريق الوحي ، بواسطة جبريل عليه السلام .

قال صلى الله عليه وسلم : " ألا إني أوتيت الكتاب و مثله معه " ².

¹ التبيان لبعض المباحث المعلقة بالقرآن على طريق الإتيان ، طاهر الجزائري ، اعتنى به عبد الفتاح أو غدة ، دار البشائر ، ص 159-155.

² صحيح رواه أحمد في المسند ، 410/28 برقم: 17173 ، و أبو داود في سنته ، 200/4 برقم : 4604 و غيرها .

قال الخطّابي (ت:388 هـ) : " أوتيت الكتاب و مثله معه " يحتمل وجهين : أحدهما : أن معناه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو ، مثل ما أعطي من الظاهر المتلو .

و الثاني : أنه أوتي الكتاب وحيًا يتلى ، و أوتي من البيان مثله ، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب ، فيعم ، و يخص ، و يزيد عليه ، و يشرح ما في الكتاب ، فيكون في وجوب العمل به ، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن¹.

فالقُرآن الكريم موحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم باللفظ و المعنى ، و الحديث النبوي موحى إليه بالمعنى ، دون اللفظ ، و هذا مما اتفق عليه العلماء ، و لكنهم اختلفوا في الحديث القدسي ، و هو ما يضاف الى الله عزوجل مثل ما روى مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزوجل أنه قال : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ... " الحديث

هل هو موحى الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى فقط ، مثل الحديث النبوي ، أو أنه موحى باللفظ و المعنى معا ؟ خلاف مشهور بين العلماء يظهر أثره في الفروق بين القرآن و الحديث القدسي :

1. القرآن متعبد بتلاوته ، و تجب قراءته في الصلاة ، أما الحديث القدسي فإن الصلاة لا تجوز به

2. القرآن نقل كله بالتواتر ، أما الأحاديث القدسية فأكثرها نقل آحادا .

3. إن القرآن تحدى به الله تعالى العرب و غيرهم فهو معجزة ، أما الحديث القدسي فإنه لم يقع به التحدي .

4. القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى ، و الحديث القدسي ليس كذلك ، بل تجوز روايته بالمعنى كالحديث النبوي .

5. القرآن لا يمس إلا بطهارة ، أما الحديث القدسي فيجوز مسه دون طهارة .

¹معالم السنن ، شرح سنن أبي داود ، أبو سليمان الخطابي ، 299/4.

6. أن القرآن الكريم لفظه من الله تعالى بلا خلاف ، بخلاف الحديث القدسي فيجوز أن يكون اللفظ من النبي صلى الله عليه وسلم .

7- أن القرآن الكريم بعضه يسمى آية و سورة ، و الأحاديث القدسية ليست كذلك .

المحاضرة الرابعة :

نزول القرآن منجما و الحكمة من ذلك

أولا : معنى نزول القرآن

ثانيا : تنزلات القرآن الكريم

أولا معنى نزول القرآن :

أ. النزول لغة : له معان منها :

1. يقول ابن فارس (ت:395هـ) : " النون و الزاء و اللام كلمة صحيحة تدل على هبوط

شيء ووقوعه ... و النازلة : الشديدة من شدائد الدهر ... و النزول : الضيف ... و التنزيل :

ترتيب الشيء ووضعه"¹ .

¹ مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ص:986.

2. يقول الراغب (ت: 502هـ) : " النزول في الأصل : هو انحطاط من علو ... نزل في مكان كذا : حط رحله فيه " ¹.

3. يقول الفيومي (ت: 770هـ) : " نزل من علو إلى اسفل ، و المنزل : موضع النزول " ² و منه قوله تعالى : ﴿ يَعْزِمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ [المؤمنون : 23]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ ﴾ [البقرة : 164].

و قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [الرعد : 17].

4. ويقول فيروز أبادي (ت: 817هـ) : " النزول الحلول ، و تنزل : نزل في مهله " ³ ، و منه قوله تعالى : ﴿ رَبِّ أَنْزِلْنِي مَنْزَلًا مَبَارَكًا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [المؤمنون : 29] أي الإقامة في مكان ما .

فالنزول إذا في اللغة مداره على الهبوط و الإقامة و التّرك و الانتقال من مكان أعلى إلى مكان أدنى .

ب. نزول القرآن في الاصطلاح

اجتهد بعض المعاصرين في تعريف نزول القرآن و أغلب هذه التعاريف كانت باعتبار تنزلات القرآن أو المراحل التي مرّ بها نزول القرآن ومن هذه التعاريف : قول منصور كافي : " نزول القرآن : يراد به : وجوده في اللوح المحفوظ ثم نزوله إلى بيت العزّة في السماء الدنيا ثم نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم على مراحل " ⁴.

ثانيا : تنزلات القرآن الكريم

¹ المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ، ص 510-511 .

² المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي ، ص 346.

³ القاموس المحيط ، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ، ص 980.

⁴ الوجيز في علوم القرآن الكريم ، منصور كافي ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة ، الجزائر ، 2011 ، ص 63.

يرى بعض العلماء أنّ القرآن ثلاث تنزلات أو ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى : نزول القرآن إلى اللوح المحفوظ ، دليله قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [البروج : 21-22].

وجوده في اللوح المحفوظ كان بطريقة و في وقت لا يعلمها إلا الله تعالى .

المرحلة الثانية : نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا و بعضهم يسميه " النزول الجملي "

ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما (ت: 68) في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: 01] أنه نزل إلى سماء الدنيا ، فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : 01].

قال : " أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الدنيا ، كان بموقع النجوم ، فكان الله ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض .

قال عزوجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : 32] ¹

و هذا الخبر الغيبي الذي لا يدرك إلا بالخبر قد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، و ليس له مخالف من الصحابة ، و لا يحتمل أن يكون من مرويات بني اسرائيل . لذا فإنه يقبل و يحتج به .

يقول عبد الله بن يوسف الجديع : " و من العلماء من يرى أنّ الحكمة من إنزاله جملة واحدة إلى السماء الدنيا و هو كتاب الله تعالى إلى أهل الأرض ، هي : إعلام الملا الأعلى بالرسالة الجديدة إلى أهل الأرض ، و بيان فضيلة من يوحى إليه هذا الدستور و فضيلة أتباعه ، خاصة مع حدوث ذلك في أعظم ليلة ، ليلة قال الله فيها : ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ [الدخان : 4].

¹ رواه الحاكم في مستدرکه (222/2) ، و أخرجه أيضا البيهقي في السنن الكبرى (306/4) .

و قال فيها ﴿ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: 3] ، فهو تمجيد للقرآن نفسه ، و للرسول الموحى إليه به صلى الله عليه وسلم ، و للأمة التي ستسعد بالاهتداء به .¹

المرحلة الثالثة : نزوله مفرقا على قلب النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام (مرحلة التنزيل ، أي النزول المنجم) .

قال تعالى: ﴿ وَ إِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: 193-195]

و قد تتابع تنزيله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة بعثته على حسب الخلاف الوارد في مدة نبوته : عشرين سنة ، أو ثلاث و عشرون سنة .

فقد اتفق العلماء على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث عشر سنين بعد الهجرة ، و وقع خلافهم في المدة التي مكثها في مكة هل هي عشر أو ثلاث عشرة سنة ؟ و الثاني هو الصحيح ، لأنه صلى الله عليه وسلم نبئ و عمره أربعون سنة ، و توفي صلى الله عليه وسلم و عمره ثلاث و ستون سنة .

ثالثا : نزوله منجما و الحكمة من ذلك

أ. معنى التنجيم : التنجيم لغة اسم مصدر ، فعله نجم بالتشديد أو نجم ، و النجم هو الوقت المضروب ، و يقال نجم المال أو أنجمه أي أداه نجوما (مفرقا)² ، أما في الاصطلاح فهو تنزيله على النبي مفرقا لا جملة واحدة.

و الدليل قوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الاسراء: 106] ، وقوله تبارك و تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ ... الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: 32].

¹ المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، عبد الله بن يوسف الجديع ، مؤسسة الزيان للطباعة و النشر و التوزيع ، ط3 ، 1427هـ/2006 م ، ص 35.

² ينظر : معاجم اللغة ، مادة نجم .

فمعنى قوله تعالى : ﴿ فرقناه ﴾ فصلنا بعضه على بعض في النزول و لم ننزله دفعة واحدة ، و معنى قوله (على مكث) على تودة و مهل ، و تعليل نزول القرآن منجما مفصولا بعضه عن بعض بالقراءة على تمهل و تريث ليس المراد به أن تتجيم القرآن ، لمجرد قراءته على هذا الوجه ، و إنما المراد به الإشارة إلى التأنى و التدرج في التشريع فكأنه قيل أنزلنا القرآن منجما ليكون جاريا على سنة التدرج في التشريع .

ب. الحكمة من نزول القرآن منجما

نزل القرآن على نبينا صلى الله عليه وسلم مفرقا في ثلاث و عشرين سنة ، ثلاث عشرة سنة في مكة ، و عشر سنين في المدينة ، و ذلك حسب ما كانت تقتضيه الحاجة ، فرما نزلت السورة تامة ، و ربما نزل منها آيات ، بل ربما نزل بعض آية ، كما في سبب نزوله قوله تعالى : ﴿ غير أولي الضرر ﴾ في آية ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر و المجاهدون في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم ﴾ [النساء : 95].

و يمكن إجمال حكم نزول القرآن مفرقا فيما يأتي :

الحكمة الاولى : تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان : 32] ، و هذه الحكمة امتازت بها السور و الآيات المكيّة ، و ذلك لما كان يحتاج إليه صلى الله عليه وسلم يومئذ من التثبيت في مواجهة الكفار و احتمال أذاهم ، فجاءت بالذكير بالثواب ، و الصبر و الاحتماب ، و سرد قصص الأنبياء و السابقين ، كما قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : 120].

الحكمة الثانية : التحدي و الاعجاز : ان الكفار كانوا يجتهدون في الطعن على القرآن و رسول الله صلى الله عليه وسلم و يضربون لذلك الأمثال ، فكان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن ليحق الحق و يبطل الباطل و يرد الاعتراض و يدحض الشبه بأحسن البراهين ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : 33]

الحكمة الثالثة : تيسير حفظه و فهمه : لقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم في أمة أمية

قال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم ﴾ [الجمعة : 62] .

و كان الرسول صلى الله عليه وسلم أميا كذلك ، قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﴾ [الأعراف : 157] ، و كانت وسيلة هذه الأمة هي حفظ القرآن ولم يكن بمقدور أحدهم أن يحفظه ببسر لو نزل جملة واحدة ، و أن نفهم معانيه فكان نزوله منجما خير عون لها على حفظه في الصدور و فهم آياته ، و لذلك كلما نزلت آية أو آيات أخرى فيحفظونها و يفهموا معانيها حتى اكتمل نزول القرآن .

الحكمة الرابعة : التدرج في التشريع

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة و النار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام ، و لو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر .

لقالوا : لا ندع الخمر أبدا ، و لو نزل : لا تزنا ، لقالوا لا ندع الزنا أبدا ، لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم و إني لجارية ألعب ﴿ بل الساعة موعدهم و الساعة أدهى و أمر ﴾ [القمر : 46] ، و ما نزلت البقرة و النساء إلا و أنا عنده ¹ .

و لا يخفي ما للتدرج من الأثر في التربية و بناء الشخصية ، و ترى كم كان لنزول القرآن مفرقا من الأثر في أعظم غرس غرسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في أصحابه الذين لم يوجد التاريخ لهم نظيرا بعدهم . رضي الله عنهم .

الحكمة الخامسة : مسايرة الحوادث و الطوارئ : كانت الآيات تنزل بحسب المناسبات عند الحاجة إليها سواء كانت لتقرير تشريع أم لجواب عن سؤال ، أم لإقامة حجة ، أم لتنفيذ شبهة ، أو لفت أنظار المسلمين إلى أغلاطهم لتصحيحها ، و توضيح الصواب لهم ، كشف حال أعداء الله المنافقين و إظهار أسرارهم للنبي صلى الله عليه وسلم .

¹ حديث صحيح ، أخرجه البخاري رقم : 4707 .

الحكمة السادسة : توكيد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بكون ما جاء به من عند الله

فكتاب توحى مقاطعه و أجزاءه في ثلاث و عشرون سنة لا ترى شيئاً من آخره ينقض شيئاً من أوليه و لا يخالفه ، بل يؤكد و يصدقه ، لهو من أعظم البراهين على أنه من عند حكيم خبير ، ما هو بقول شاعر ، و لا كاهن بل و لا بقول عاقل أديب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُونَ ﴾ [العنكبوت : 48] . و قال سبحانه ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى : 52] ، و قال تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : 41-42] .

الحكمة السابعة : الإجابة عن أسئلة المسلمين و أهل الكتاب :

كان المسلمون يسألون النبي صلى الله عليه و سلم عن أحكام شرعية و قضايا تقع في حياتهم ، فكان النبي صلى الله عليه و سلم يجيب عليها بما نزل عليه من الوحي ، و كذلك أسئلة اليهود ، مثل :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ ﴾ [البقرة : 189]

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۗ ﴾ [البقرة : 119]

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا ﴾ [البقرة : 219]

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ۗ ﴾ [البقرة : 220]

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ ﴾ [البقرة : 222]

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ ﴾ [الأعراف : 187]

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ۖ ﴾ [الأنفال : 1]

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ ﴾ [الإسراء : 85]

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ۖ ﴾ [الكهف : 83]

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ۖ ﴾ [طه : 105]

رابعا : أول ما نزل و آخر ما نزل من القرآن

فأما أول ما نزل من القرآن ففي صحيح البخاري¹ في حديث بدء الوحي ما يقتضي أن أول ما نزل عليه الصلاة والسلام ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ [العلق :1] ثم المدثر².

وقيل أول ما نزل للرسالة ﴿ يا أيها المدثر ﴾ [المدثر :01] وللنبوة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ فإن العلماء قالوا : قوله تعالى : ﴿ اقرأ اسم ربك ﴾ دال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن النبوة عبارة عن الوحي الى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأندر ﴾ [المدثر :1-2] دليل على رسالته صلى الله عليه وسلم ، لأنها عبارة عن وحي إلى الشخص ، على لسان الملك بتكليف عام .

وللجمع بين حديث عائشة رضي الله عنها و جابر رضي الله عنه نقول أن أول ما نزل على الإطلاق أول خمس آيات من سورة العلق ، و أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر .

و اما آخره : فاختلفوا فيه ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما³ : ﴿ إذا جاء نصر الله و الفتح ﴾ [الفتح] ، و عن عائشة سورة المائدة ، و قيل⁴ ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ﴾ [البقرة : 281] و قال السدي : آخر ما نزل ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : 109]

و في صحيح البخاري⁵ في سورة براءة بن عازب رضي الله عنهما : آخر آية نزلت : ﴿ يسفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ [النساء : 176] ، و آخر سورة براءة .

و ليس في هذه الأقوال قول مرفوع الى النبي عليه الصلاة والسلام ، و هي جميعا مستندة إلى اجتهادات الصحابة .

¹ أخرجه البخاري (3) و مسلم (160) من حديث عائشة رضي الله عنها ، قال النوري في شرح مسلم (480/1) ، قوله { اقرأ باسم ربك الذي خلق } هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن (اقرأ) و هذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف و الخلف ، و قيل أوله { يا أيها المدثر } و ليس بشيء "

² حديث جابر أخرجه البخاري برقم (4925) ، و مسلم برقم (161)

³ أخرجه مسلم ، 3024.

⁴ النسائي في الكبرى 11057.

⁵ أخرجه البخاري (4605) و مسلم (1618) عن البراء بن عازب

قال الزركشي نقلا عن القاضي أبي بكر الباقلاني في كتابه الانتصار : و هذه الأقوال ليس في شيء منها ما رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم .

و يجوز أن يكون قال قائله بضرب من الاجتهاد و تغليب الظن ، و ليس العلم بذلك من فرائض الدين حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط و يحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه ، أو قبل مرضه بقليل ، و غيره سمع منه بعد ذلك و إن لم يسمعه هو لمفارقته له ، و نزول الوحي عليه بقرآن بعده ، و يحتمل أيضا أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها و تلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخر ، و تلاوته فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل في الترتيب ¹ . و الذي يترجح من استظهار الأقوال التي بلغت عشرة آيات نزل ما نزل هو قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 281] لأنها نزلت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتسع ليال .

خامسا : فوائد معرفة أول ما نزل و آخر ما نزل :

1. بيان العناية التي حظي بها القرآن الكريم صيانة له و ضبط الآيات .
2. إدراك أسرار التشريع الإسلامي في تاريخ مصدره الأصيل .
3. تمييز الناسخ عن المنسوخ ، فقد ترد الآياتان أو الآيات في موضوع واحد و يختلف الحكم في أحدهما عن الأخرى ، فإذا عرف ما نزل أولا و ما نزل آخر كان الحكم هو ما نزل آخر ناسخا لحكم ما نزل أولا .

¹ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي 1/209-210.

المحاضرة الخامسة :

نزول القرآن على سبعة أحرف

أولا : الاحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف

ثانيا : الفوائد المستخلصة من الاحاديث

ثالثا : الإختلاف في الأحرف السبعة

رابعا : الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف

خامسا : القراءات القرآنية

1. تعريف القراءات

2. أركان القراءات المقبولة

3. القراءات العشرة

نزل التخفيف على الأمة بالأحرف السبعة كما نُصت على ذلك جملة الأحاديث الواردة في الأحرف السبعة ، و سأذكر بعض هذه الأحاديث ، ثم أذكر الخلاف فيها ، و عدد من الفوائد في نزول القرآن على سبعة أحرف ، و الفرق بينها و القراءات القرآنية .

أولاً : الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف

1. روى البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري : أنه قال : " سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ، و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها ، وكدت أن أعجل عليه ، ثم أمهلته حتى انصرف ، ثم لببته بردائه ، فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتها .

فقال لي : " أرسله " ، ثم قال له : اقرأ ، فقرأ ، قال : " هكذا أنزلت " ، ثم قال لي : اقرأ ، فقرأت ، فقال : هكذا أنزلت ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا منه ما تيسر " ¹.

¹ أخرجه البخاري برقم (2419)

2. و روي أيضا عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضي الله عنه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أقرأني جبريل على حرف فراجعتة فلم أزل أستزيده و يزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف " ¹.

3. و روى عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار ، قال : فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : " أسأل الله معافاته و مغفرته ، و إن أمتي لا تطيق ذلك " .

ثم أتاه الثانية : فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال : " أسأل الله معافاته و مغفرته ، و إن أمتي لا تطيق ذلك " ، ثم جاءه الثالثة : فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته و مغفرته ، و إن أمتي لا تطيق ذلك .

ثم جاءه الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأیما حرف قرووا عليه فقد أصابوا ² [الأضاة : الماء المستنقع كالغدير] .

4. وروي أيضا عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : " كنت في المسجد ، فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر ، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه .

فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إنّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، و دخل آخر ، فقرأ سوى قراءة صاحبه . فأصرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرا : فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ، و لا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد عشيبي ضرب في صدري ، ففضت عرقا ، و كأنما أنظر إلى الله عزوجل فرقا ، فقال لي : " يا أباي ، أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هون على أمتي ، فرد إليّ الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددت إليه : أن هون على أمتي ، فرد إليّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف ، فلك بكل ردة رددتها مسألة

¹ أخرجه البخاري برقم (4991)

² أخرجه مسلم برقم (821)

تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، و أخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى ابراهيم عليه السلام¹.

و حديث نزول القرآن على سبعة أحرف متواتر ، حيث نص الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام على تواتره.

ثانيا : الفوائد المستخلصة من الاحاديث

إذا تأملنا الاحاديث السابقة فيمكننا استخلاص الحكم التالية :

1. إن الاقتصار على قراءة القرآن بحرف واحد يؤدي إلى مشتقة كبيرة تتمثل في حمل الناس على القراءة على غير ما ألفوه .

2. إنّ الزيادة على حرف إلى سبعة أحرف في قراءة القرآن فيه تيسر تلاوته و سهولة حفظه و فهمه و تدبره لأن الامة العربية كانت متعددة اللغات و اللهجات ، و هذا من توسعة الله على هذه الأمة .

3. أنّ هذه الأحرف نزلت من عند الله .

4. أنه لا يمكن معرفة الأحرف إلا من طريق الرسول صلى الله عليه وسلم .

5. أن القراءة بأي حرف من الاحرف السبعة تعتبر قرآنا ، و بأيهما قرأ القارئ فهو مصيب .

ثالثا : الإختلاف في الأحرف السبعة

1. معنى الحرف : الحرف في اللغة بعدة معان :

- طرف الشيء ... الذي ينتهي إليه

- قد يطلق على حرف الهجاء .

- كما يطلق على جانب الشيء و ناحيته¹.

¹ أخرجه مسلم برقم (821) .

و يطلق الحرف و يراد به القراءة ، يقولون هذا حرف ابن كثير² ، و حرف أبي عمرو³ ، أي قراءته

2. الأقوال الواردة في المراد من الأحرف السبعة :

إنّ مسألة نزول القرآن على سبعة أحرف من القضايا التي وقع فيها الاختلاف ، و تعددت فيها الآراء قديما و حديثا ، حيث بلغت فيها نقله السيوطي (ت:911هـ) عن ابن حبان (ت:354هـ) إلى خمسة و ثلاثين قولاً ، و سأحاول عرض بعض هذه الأقوال و مناقشتها ثم أذكر أرجح الأقوال فيها .

القول الأول : إنّ الحرف من المشكل الذي لا يدري معناه ، لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء ، و على الكلمة و على الجهة ، فهو مشترك لفظي ، و هو منسوب إلى محمد بن سعدان⁴ (ت:231هـ) النحوي ، و نحا نحوه السيوطي حيث قال : " و المختار عندي : أنه من المتشابه الذي لا يدري تأويله"⁵. و الصحيح هنا أن القرينة هي التي تعين المراد .

القول الثاني : أنّ المراد بالسبعة التوسعة و التيسير و ليس حقيقة : فلفظ " السبعة" يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد ، كما يطلق السبعون في العشرات ، والسبعمئة في المئين ، و لا يراد العدد المعين .

و الصحيح أن الروايات الواردة تبين أنّ المراد بالسبعة حقيقة .

القول الثالث : سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة أو سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة ، مثل : أقبل ، تعال ، هلم ، إلي ، نحوي ، قصدي ، قربي ، فإنّ هذه ألفاظ سبعة مختلفة يعبر بها عن معنى واحد ، و هو طلب الإقبال .

¹ ينظر : قاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ص737.

² عبد الله بن كثير المكي تابعي ، كان إمام الناس في القراءة توفي سنة 120هـ .

³ أبو عمرو بن العلاء البصري ، توفي بالكوفة سنة 154هـ .

⁴ أبو جعفر محمد بن سعدان الكوفي الضرير نحوي و مقروء و أحد علماء الطبقة الرابعة من المدرسة الكوفية .

⁵ تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، السيوطي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، 1969/1389 م ، ص : 160.

القول الرابع : أن الأحرف السبعة هي لغات سبع متفرقة في القرآن كله : قال ابن عبد البر (ت:463هـ) : السبع من مضر : هذيل و كنانة ، قيس ، ضبة ، تميم الرباب ، أسد بن خزيمة ، قريش ، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات¹ ، قال أبو حاتم السجستاني : " نزل بلغة قريش ، و هذيل ، تميم الرباب ، الأزد ، ربيعة هوازن ، و سعد بن بكر"².

مرّ معنا أن الغرض من الاحرف السبعة : التيسير و الرحمة ، ونزول بعضه بلغة ، و البعض الآخر بلغة لا يتأتى فيه التيسير و التسهيل ، لأن القارئ إذا قرأ القرآن بلغة غيره فهو لا يمكن قراءته و هنا تتنقي الرخصة.

القول الخامس : أن المراد بالأحرف السبعة سبعة معان في القرآن الكريم : و لكنها اختلفت في تحديد هذه المعاني و من هذه الأقوال :

1. إنها : زجر ، و أمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال .
2. إنها : زجر ، أمر ، حلال ، حرام ، نهي ، خبر و أمثال .
3. إنها : وعد ، ووعيد ، و حلال و حرام ، و مواعظ و احتجاج و أمثال
4. إنها : ناسخ ، منسوخ ، وعد ، وعيد ، رغم ، تأديب و إنذار .
5. إنها : أمر ، زجر ، ترغيب ، ترهيب ، جدل ، قصص ، و امثال .
6. إنها : إظهار الربوبية، و إظهار الوجدانية ، و تعظيم الألوهية ، و التعبد لله ، و مجانية الإشراك ، و الترغيب في الثواب ، و الترهيب من العقاب .
7. إنها : أمر حتم ، و نهي حتم ، و أمر ندب ، و نهي مرشد ، و وعد ووعيد ، و قصص

¹ الاستتكار ، ابو عمر يوسف بن عبد البر ، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1421هـ/2000 م ، 481/2.

²فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، 27/9.

8. إنها : مقدم ، ومؤخر ، و فرائض ، و حدود ، ومواعظ ، و متشابه ، و أمثال ¹.

القول السادس : ذهب الخليل بن احمد الفراهيدي (ت:170 هـ) إلى أنّ الأحرف السبعة يقصد بها القراءات السبعة المنقولة عن الأئمة المعروفين بالقراء السبعة .

الفرق بين الأحرف السبعة و القراءات السبعة :

1. إن الأحرف السبعة قد نزل بها القرآن ، أما القراءات السبعة فلم تعرف إلا في القرن الثالث الهجري ، و التي جمعها الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس المعروف بابن مجاهد (ت:370 هـ) ، و كان الاقتصار على السبع مجرد مصادفة و اتفاقا لابن مجاهد .

حيث طبق ابن مجاهد الشروط التي وضعها العلماء قبله فوجد أنّ القراءات التي توفرت فيها

الشروط سبعا

2. قال ابن الجزري (ت:833 هـ) : " إنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا أنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ، و سمعوا القراءات السبع فظنوا أنّ هذه السبعة هي تلك المشار إليها " ².

3. إن الأحرف السبعة سابقة عن القراءات السبع .

4. إن القراءات تفوق السبعة ، فالذين سبقوا ابن مجاهد في التأليف كأبي القاسم بن سلام (ت:224 هـ) ، و أبي حاتم السحبستاني (ت:250 هـ) ، و أبو جعفر الطبري (ت:310 هـ) ، قد ذكروا ما يفوق السبعة بأضعاف ، قال الإمام مكي بن أبي طالب (ت:437 هـ) : " قد ذكر الناس في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى مرتبة و أجل قدرا من هؤلاء السبعة " ³.

و منه نقول أنّ القراءات جزء من الأحرف السبعة و ليست هي الأحرف .

¹ ينظر : قضية نزول القرآن على سبعة أحرف ، محمد التومي ، بحث في النشرة العلمية للكلمة الزيتونية للشريعة و أصول الدين ، 1975 ، ص239.

² النشر في القراءات العشر ، شمس الدين أبو الخير بن الجزري ، 36/1.

³ الابانة عن معاني القراءات ، مكي بن أبي طالب ، 36/1.

القول السابع : و هو اختيار ابن قتيبة (ت: 276هـ) ، و أبو الفضل الرازي (ت: 554هـ) ،
في بيان وجوه الاختلاف في كتاب اللوائح .

حيث قال : " الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف :

- اختلاف الاسماء من أفراد و تشنية و جمع أو تذكير أو تأنيت .
 - اختلاف تعريف الأفعال من ماض ، و مضارع و أمر .
 - وجوه الإعراب .
 - النقص و الزيادة .
 - التقديم و التأخير .
 - الإبدال و يدخل تحته إبدال حرف بآخر ، و إبدال كلمة بأخرى .
 - اختلاف اللغات كالفتح و الإمالة و التدقيق و التفخيم و الإدغام و الإظهار¹
- قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: 582هـ) : " و قد أخذ الرازي كلام ابن قتيبة و نقحه² " و قد رجح هذا الرأي عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان³ .

القول الثامن :يقول أبو بكر الباقلائي (ت: 403 هـ) : " تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعا .

- ما تتغير حركته و لا يزال معناه و لا صورته .
- ما لا تتغير صورته و يتغير معناه بالإعراب .
- ما تتغير صورته و معناه باختلاف الحروف .
- ما تتغير صورته و يبقى معناه .
- ما تتغير صورته و معناه مثل : وطلح منضود " و " طلع منضود " .
- التقديم و التأخير

¹ الزيادة و الاحسان في علوم القرآن ، محمد بن أحمد بن سعيدي الحنفي ، 483/1 .

² فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، 29/9 .

³ مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، 132/1 .

• الزيادة و النقصان¹.

القول التاسع : يقول شمس الدين محمد بن الجزري (ت:833هـ) : " قد تتبعت صحيح القراءات ، و شأنها و ضعيفها و منكرها ، فإذا اختلفها يرجع إلى سبعة أوجه ، لا يخرج عنها ، و ذلك :

1. إما اختلاف في الحركات ، بلا تغيير في المعنى و الصورة .

2. أوفي الحركات بتغيير في المعنى فقط

3. أو في الحروف بتغيير المعنى لا الصور

4. أو عكس ذلك ، أي يتغير في الصورة لا المعنى .

5. أو بتغييرها : أي المعنى في الصورة .

6. و إما بالتقديم و التأخير .

7. و إما بالزيادة و النقصان ...².

القول العاشر : ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة الأوجه السبعة ، التي وسع الله بها على الأمة ، فبأي وجه قرأ القارئ فقد أصاب و هذه الالوجه هي :

1. إختلاف الأسماء في الأفراد و لتثنية و الجمع ، و في التذكير و التأنيث : أمثلة :

لأماناتهم و عهدهم راعون / لأمانتهم .منهما منقلبا / منها منقلبا .طعام مسكين / طعام مساكين .

و صدقت بكلمات ربها و كتبه / و كتابه .

2.اختلف وجوه الإعراب : أمثلة : حمالة الحطب / حمالة الحطب.

لا يضار كاتب و لا شهيد / لا يضار كاتب و لا شهيد . إلا أن تكون تجارة حاضرة / تجارة حاضرة.

¹ امتناع الأسماع ، المقيزي ، 273/4.

²النشر في القراءات العشر ، 26/1.

3. الإختلاف بالزيادة و النقص . و هو قليل جدا لا يتعدى عشرة مواضع منها : هو الغني الحميد / الغني الحميد. و قالوا اتّخذ ولدا / قالوا اتّخذ ولدا.

4. الإختلاف في التقديم و التأخير . أمثلة : وجاءت سكرة الموت بالحق / وجاءت سكرة الحقّ بالموت

فيقتلون و يُقتلون / فيقتلون و يقتلون.

5. الاختلاف بابدال كلمة بأخرى . أمثلة : وطلع منضود / و طلع منضود . يخادعون / يخدعون .

كثيرا / كبيرا. فتبينوا / فتثبتوا .

6. الاختلاف بابدال حرف بحرف . أمثلة : الصّراط المستقيم / السّراط المستقيم.. يعلمون / تعلمون .

7. اختلاف اللهجات¹ . بين الفتح و الإمالة ن و التّريق و التّخيم ، و من أمثلة ذلك :
سال سائل / سأل سائل. هل أتاك حديث موسى / هل أتاك حديث مُوسَى . يؤمنون / يؤمنون.

وهذا القول الاخير الذي يتداخل في بعض الوجود مع الأقوال السابقة ، رجحة كثير من المعاصرين ، لأنّه يعتد على الاستقراء التام للقراءات و ما ترجع إليه من الوجوه السبعة بخلاف الأقوال فإن استقراء القراءات يعارضها

و بناء على هذا القول يمكننا تعريف الأحرف السبعة على النحو الذي عرّفها به عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ حيث قال : " هي وجوه قرآنية منزلة متعددة متغايرة في الكلمة القرآنية الواحدة ضمن نوع واحد من أنواع التغاير"².

¹ مناهل العرفان في علوم القرآن - ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، 157/1.

² حديث الأحرف السبعة ، عبد العزيز بن عبد الفتاح ، مؤسسة الرسالة ، ص 65.

رابعاً : الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف .

يمكننا إجمال هذه الحكمة في ثلاثة أمور ذكرها مناع القطان¹ (ت: 1420هـ) :

1. تيسير القراءة و الحفظ . و التخفيف على الأمة ليقرأ كلّ بما يوافق لهجته .

2. إعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب ، ففي استعمال القرن الكريم لغة قريش و بقيّة

لهجات العرب حسن و ثراء .

3. إعجاز القرآن في معانيه و أحكامه ، حيث أنّ اللفظ الواحد بالقراءات المتعددة تنوّع و ثراء

في المعنى و البيان و الأحكام .

خامساً : القراءات القرآنية

1. تعريف القراءات : القراءات جمع قراءة و هي في اللغة مصدر سماعي لقراً ، أما في

الاصطلاح فقد أوجز ابن الجزري (ت: 833هـ) التعريف بقوله : القراءات علم بكيفيات أداء كلمات

القرآن و اختلافها بعزو

الناقلة².

وسبق معنا أنّ الأحرف السبعة غير القراءات السبعة و هذا ما اكده ابن الجزري (ت: 833هـ)

و أبو العباس بن عمار (ت: 440هـ) ، و ابن تيمية (ت: 728هـ)³ ، إلاّ أنّه توجد علاقة وثيقة

بينهما ، حيث أنّ الاختلاف بين القراءات لا يخرج عن الأحرف لسبعة.

2. أركان القراءات المقبولة :

إنّ الذي يقرر قبول القراءة أو رفضها ، و يحل المشكلات التي نجمت في هذا الباب هي

الضوابط التي وضعها علماء القراءات و قد جمعها ابن الجزري في قوله :

¹ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص : 161-162.

² منجد المقرئين ، محمد بن الجزري ، ص 3.

³ ينظر : النشر في القراءات العشر ، محمد بن الجزري ، ص 36.

وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوٍ

فهذه الثلاثة الأركان

وَصَحَّ إِسْنَاداً هُوَ الْقُرْآنُ

شُدُوذُهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ¹.

و حيثما يَخْتَلُّ رُكْنٌ اثْبَتِ

فهي إذا ثلاثة أركان :

الاول : موافقة اللغة العربية : المقصود أن توافق القراءات وجها شائعا في اللغة العربية سواء كان هذا الوجه فصيحاً أو افصح ، مجمعا عليه أو مختلفا فيه ، فالشرط أن لا تخرج عن كلام العربية بالكلية .

الثاني : موافقة الرسم : موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية موافقة محققة كقراءة : (ملك) بالألف فهي موافقة للرسم احتمالا و لا تعد مخالفة لثبوت القراءة بها في مواضع كثيرة .

الثالث : صحة الاسناد : و هو أن تكون القراءة منقولة نقلا صحيحا مفيدا للقطع فما صح سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ، فهو مفروء به مقيد بتلاوته لا يجوز رده .²

3. القراءات العشرة :

1. نافع المدني (ت : 169هـ) راويه قالون (ت : 280هـ) ، ورش (ت : 197هـ)

2. ابن كثير المكي (ت : 120هـ) : راويه : البزي (ت : 250هـ) ، قنبل (ت : 291هـ)

3. أبو عمرو البصري (ت : 154هـ) : راويه : الدوري (ت : 246هـ) ، السوسي

(ت : 261هـ)

4. عبد الله بن عامر الشامي (ت : 118هـ) ، راويه : هشام (ت : 245هـ) ، ابن دكوان

(ت : 242هـ)

¹ متن طيبة النشر في القراءات العشر ، شمس الدين بن الجزري ، ص : 32.

² محاضرات في علوم القرآن ، فضل عباس ، ص 257-258.

5. عاصم الكوفي (ت:127هـ) : راويه : شعبة (ت:195هـ) ، حفص (ت:180هـ)
6. حمزة الكوفي (ت : 156هـ) : راويه : خلف (ت: 229 هـ) ، خالد (ت:220هـ)
7. الكسائي الكوفي (ت : 189هـ) ، راويه : أبو الحارث (ت:240هـ) ، حفص الدوري (ت: 246هـ) .

هؤلاء السبعة هم الذين تواترت قراءاتهم و صح سندها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم و اشتهرت قراءتهم حاسم القراءات السبعة .

أما القراءات الثلاثة التي تمام العشرة (الآحاد) فهي :

8. أبو جعفر المدني (ت:130هـ) : راويه : عيسى بن وردان (ت:160هـ) ، و ابن جمار (ت: 170هـ) . 9. يعقوب البصري (ت: 205هـ) : راويه : رويس (ت: 238هـ) و روح (ت:234هـ) .

10. خلف العاشر (ت:229هـ) : راويه : اسحاق (ت: 286هـ) . ، و ادريس (ت: 292 هـ)

و للتوسع في الباب ينصح بالعودة إلى :

- كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري .
- غاية النهاية في صفات القراء .
- القراءات القرآنية ، عبد الحلیم قابة .

المحاضرة السادسة :

المكي و المدني

أولاً : مذاهب العلماء في تحديد المكي و المدني

ثانياً : طريق معرفة المكي و المدني

ثالثاً : ضوابط المكي و المدني

رابعاً : فوائد العلم بالمكي و المدني

تمهيد :

المكي و المدني مصطلحان مرتبطان بالمكان و الزمان ، و عليهما وقعت عبارات العلماء رحمهم الله .

وقد كان للسلف عناية خاصة بالقرآن الكريم فضبطوا سوره و آياته ، وحددوا مكان و زمان نزولها ، كالوارد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " و الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا و أنا أعلم أين نزلت ، و لا أنزلت آية من كتاب الله إلا و أنا أعلم فيمن نزلت ، و لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه " ¹

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت:406 هـ) في كتابه " التنبيه على فضل علوم القرآن ": " من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته ، و ترتيب ما نزل بمكة ابتداء ووسطا و انتهاء و ترتيب ما نزل بالمدينة كذلك ، ثم ما نزل بمكة و حكمه مدني ، و ما نزل بالمدينة و حكمه مكي ، و ما نزل بمكة في أهل المدينة ، و ما نزل بالمدينة في أهل مكة ، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني ، و ما يشبه نزول المدني في المكي ، ثم ما نزل بالجحفة ، و ما نزل بببيت المقدس ، و ما نزل بالطائف ، و ما نزل بالحديبية ، ثم ما نزل ليلا ، و ما نزل نهارا ، و ما نزل مشفعا ، و ما نزل مفردا ، ثم الآيات المدنيات في السور المكية ، و الآيات المكية في السور المدنية ، ثم ما حمل من مكة إلى المدينة ، و ما حمل من المدينة إلى مكة ، و ما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة ، ثم ما نزل مجملا ، و ما نزل مفسرا ، و ما نزل مرموزا ، ثم ما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : مدني ، هذه خمسة و عشرون وجها من لم يعرفها و يميز بينهما لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى " ².

أولا : مذاهب العلماء في تحديد المكي و المدني

و للعلماء في تحديد معنى المكي و المدني ثلاث اعتبارات : باعتبار الزمان و المكان و

المخاطب .

¹ أخرجه البخاري برقم (5002) .

² البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، 1/192.

قال السيوطي (ت:911هـ) : " اعلم أنّ للعلماء ثلاث اصطلاحات في المكي والمدني و هي

:

الأول : أن المكي ما نزل قبل الهجرة و المدني ما نزل بعد الهجرة ، و المعول عليه هنا الزمان ، دون النظر إلى اللفظ الذي صدر به أو مكان نزوله ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾¹ . فهي مدينة مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع ، و هذا المعيار هو الأرجح عند أغلب العلماء .

الثاني : المكي ما نزل بمكة أو ضواحيها كمنى و عرفات و الحديبية و لو كان بعد الهجرة ، أما المدني : فهو ما نزل بالمدينة و ضواحيها كبدر و أحد و معيار التفرقة هنا المكان .

الثالث : المكي ما وقع خطابا لأهل مكة ، و المدني ما وقع خطابا للأهل المدينة ، و لذلك يكون ما بدء بلفظ " يا أيها الناس " فهو مكي ، وما بدئ بلفظ " يا أيها الذين آمنوا " فهو مدني ، لأن الكفر كان غالبا على أهل مكة فخطبوا ب " أيها الناس " ، و إن كان غيرهم داخلا فيهم ، لأن الإيمان كان غالبا على أهل المدينة فخطبوا ب : " يا أيها الذين آمنوا " و إن كان غيرهم داخلا فيهم ، و ألحق بهم صيغة " بني آدم " ب " أيها الناس " قال ميمون من مهران : " ما كان في القرآن يا أيها الناس أو يا بني آدم فهو مكي " ، فمعيار التفرقة عند أصحاب هذا القول هو معيار شخصي راعى فيه المخاطبين² .

وقد اعترض العلماء على معيار التفرقة على أساس المكان ، إذ يوجد ما أنزل من القرآن في غير مكة و ضواحيها ، و المدينة و ضواحيها و مثاله قوله تعالى : ﴿ لو كان عرضا قريبا و سفرا قاصدا لاتبعوك ﴾³ فإنها نزلت في تبوك ، و كذلك من القرآن ما نزل في بيت المقدس ليلة الإسراء و المعراج و هو قوله تعالى : ﴿ و اسأل من أرسلنا من رسلنا ﴾⁴ .

و اعترضوا كذلك على معيار المخاطبين بأمرين :

¹ المائدة ، الآية 03 .

² الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 11/1 .

³ التوبة ، الآية : 42 .

⁴ الزخرف ، الآية : 45 .

1. أن من القرآن ما نزل دون تصدير بأي لفظ من الألفاظ الثلاثة ، مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين ﴾¹ ، فهذه الآية و ما بعدها و غيرها كثير لم تصدر بأي لفظ من الألفاظ الثلاثة .

2. هناك آيات صدرت بلفظ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ و هي مكية ، و هناك آيات أخرى صدرت بلفظ " يا أيها الناس " ، و هي مدنية ، مثل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾² ، فاعتبار الخطاب لا يصلح للتفرقة بين المكي و المدني .

و عليه نقول أن المكي ما نزل قبل الهجرة ، و إن كان بالمدينة و المدني ما نزل بعد الهجرة ، و إن كان بمكة ، و هذا هو المشهور الذي عليه جمهور العلماء لأنه أضبط الأقوال .

ثانيا : طريق معرفة المكي و المدني

لمعرفة المكي و المدني طريقان : الطريق النقلي و الطريق القياسي الاجتهادي .

1. الطريق النقلي : يستند هذا الطريق إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة لأنهم عاصروا الوحي ، و شهدوا نزوله ، أو عن طريق التابعين الذين تلقوا عن الصحابة و سمعوا منهم كيفية النزول و مواقعه و احداثه ، و لم يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيان المكي و المدني ، و ذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان ، لأنهم يشاهدون الوحي و التنزيل و مكانه و زمانه و سببه .³

2. الطريق القياسي الاجتهادي : فإنه يقوم على معرفة ما يمكن القياس عليه ، و هو ما دلّ بالاستقراء من موضوعات المكي و المدني و أسلوبهما في السور و الآيات⁴ ، فهذا الطريق يستند إلى الضوابط التي استنبطها العلماء من القرآن لمعرفة المكي و المدني .

ثالثا : ضوابط المكي و المدني

¹ الأحزاب ، الآية : 1

² النساء ، الآية : 01

³ مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ، 199/1 .

⁴ المحرر في علوم القرآن . مساعد بن سليمان الطيار ، ص 112 .

وضع العلماء ضوابط لمعرفة المكي و المدني و بها يتميز كل منهما عن الآخر .

أ. ضوابط المكي :

1. كل سورة فيها لفظ " كلا " فهي مكية ، و قد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثا و ثلاثين

مرة .

2. كل سورة فيها سجدة فهي مكية .

3. كل سورة تبدأ بحروف التهجي مثل : ألم ، الر ، طسم ، حم ، ق ، ن ، فهي مكية ما عدا

البقرة و آل عمران و قد اختلف في سورة الرعد .

4. اشتمال السورة على ذكر أنباء الرسل ، و أحوال الأمم السابقة فهي مكية إلا سورة البقرة .

5. ذكر لفظ " يا بني آدم " في السورة ، فهي مكية .

6. ذكر قصة آدم و ابليس ، فهي سورة مكية إلا سورة البقرة .

7. اشتمال السورة على آية مصدرة بلفظ " يا أيها الناس " ، علامة على أنها سورة مكية و

هذا الضابط غير مطرد إذ قد توجد الآية بهذا اللفظ و هي مدنية مثل قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾¹ و في صدر سورة النساء ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾² . فهذا لضابط أغلبه فقط .

8. قصر الآيات علامة على ان سورة مكية ، و هي كذلك علامة أغلبية فقد يوجد القصر في

السور المدنية كسورة النصر .

9. و من ضوابط القرآن المكي تحديد مواضعه و محاوره :

¹ البقرة الآية :21.

² النساء ، الآية 01.

أ. عناية القرآن المكي بالإيمان بالله تعالى و توحيده ، و الإيمان بالرسول و الملائكة و الكتب ، و اليوم الآخر ، و البعث و النشور ، و الحساب و الجزاء و النعيم و العذاب مع اثبات ذلك كله بأدلة الكون و براهين العقل .

ب. تحدث القرآن المكي عن مثالب المشركين البغيضة ، و عاداتهم المنكرة من القتل ، و وأد البنات ، و استباحة الأعراض و غيرها من الموبقات .

ج. تضمن القرآن المكي حث للعرب على التحلي بأصول الفضائل و أمهات المكارم .

ب : ضوابط المدني :

1. اشتمال السورة على آية صدرت بلفظ " يا أيها الذين آمنوا " مع الخلاف في سورة الحج¹ .

2. طول أكثر سور و آيات القرآن المدني .

3. دعوة أهل الكتابين اليهود و النصارى إلى الإسلام و إقامة البراهين على فساد عقائدهم .

4. تضمن القرآن المدني بيان قواعد التشريع التفصيلية و أحكام العبادات و المعاملات و

الفرائض و احكام الحدود ، و أنواع القوانين المدنية ، و الجنائية ، و الحربية ، و الاجتماعية ، و أحكام الاحوال الشخصية ، و نظام الأسرة ، إلى غير ذلك من حقائق التشريع² .

5. كل سورة فيه إذن بالجهاد و بيان أحكامه فهي مدنية .

6. كل سورة فيها ذكر للمنافقين فهي مدنية باستثناء سورة العنكبوت فهي مكية

أما الحكم على السورة بكونها مكية أو مدنية تابع لجميع آياتها أو لمعظمها ، فإن كان جميع الآيات أو معظمها مكية كانت السور مكية ، و ان كانت جميع الآيات أو معظمها مدنية كانت السورة مدنية .

رابعا : فوائد العلم بالمكي و المدني

¹ سورة الحج وقع فيها الخلاف ، و هناك من يرى أنها مكية و هذا يدل على أن هذا الضابط أغلبى و ليس كلى مطرد .

² في علوم القرآن ، عبد الفتاح القاضي ، ص18.

قال الأستاذ مناع القطان (ت: 1420 هـ) : " و للعلم بالمكي و المدني فوائد أهمها :

أ. الاستعانة به في تفسير القرآن ، فإن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية و تفسيرها تفسيراً صحيحاً ، و إن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، و يستطيع المفسر في ضوء ذلك عند تعارض المعنى في آيتين أن يميز بين الناسخ و المنسوخ ، فإن المتأخر يكون ناسخاً للمتقدم .

ب. تذوق أساليب القرآن ، و الاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى ، فإن لكل مقام مقالاً ، و مراعاة مقتضى الحال من إخص معاني البلاغة ، و خصائص أسلوب المكي في القرآن و المدني منه تعطي الدارس منهجاً لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله بما يلائم نفسية المخاطب ، و يمتلك عليه لبه و مشاعره ، و يعالج فيه دخيلته بالحكمة البالغة ، و لكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعها و أساليب الخطاب فيها ، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ، و معتقداتهم و أحوال بيئتهم ، و يبدووا هذا واضحاً جلياً بأساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المؤمنين و المشركين و المنافقين و أهل الكتاب .

ج. الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية ، فإن تتابع الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر تاريخ الدعوة بأحداثها في العهد المكي ، و العهد المدني ، منذ بدأ الوحي حتى آخر آية نزلت ، و القرآن الكريم هو المرجع الأصيل لهذه السيرة الذي لا يدع مجالاً للشك فيما روى عن أهل السير موافقاً له ، و يقطع دابر الخلاف عند إختلاف الروايات¹.

خامساً : ضبط السور المكيّة و المدنيّة

اعتنى السيوطي : (ت: 911 هـ) في كتابه " الإتيان في علوم القرآن " بضبط السور المكيّة و المدنيّة ، ممّا حصل حولها اتفاق ، و ما هو مختلف حوله و قد نقل في ذلك عدّة أقوال منها ما يلي :

- السور المدنيّة باتّفاق : 20 سورة ، و هي البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنفال ، التوبة ، النور ، الأحزاب ، محمد ، الفتح ، الحجرات ، الحديد ، المجادلة ، الحشر ، الممتحنة ، الجمعة ، المنافقون ، الطلاق ، التحريم ، النصر .

¹ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ...

السّور المختلف حولها : 12 سورة ، و هي : الفاتحة ، الرّعد ، الرحمن ، الصّف ، التّغابن ،
المطّفّين ، البيّنة ، القدر ، الزلزلة ، ، الإخلاص ، المعودتان .
السور المكية باتفاق : 82 سورة و هي باقي السور .

المحاضرة السابعة :

أسباب النزول

1. تعريف سبب النزول

أ. السبب لغة

ب. النزول لغة

إنّ آيات القرآن تنقسم إلى طائفتين بالنظر لأسباب النزول ، فأما الطائفة الأولى فهي التي تتعلق بالتشريع و الأحكام و الأخلاق فمعظمها كان نزوله مرتبطا بأسباب ووقائع ، و أما الطائفة الأخرى : هي التي تتحدث عن الامم الغابرة و ما حل بها أو عن وصف الجنة و النار و القيامة ففيها الكثير مما نزل ابتداء دون سبب أو واقعة معينة ، و منه فالقرآن قسمان :

1. قسم نزل ابتداء دون أن يكون مرتبطا بسبب من الأسباب

2. قسم نزل مرتبطا بواقعة أو سؤال.

1/ تعريف سبب النزول :

أ. السبب لغة : السبب و جمعه أسباب ، و يطلق في اللغة على أكثر من معنى منها :

السبب بمعنى الحبل ¹ ، و من ذلك قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [الحج : 15] أي بحبل .

السبب بمعنى الطريق ² ، يقال " مالي إليه سبب أي طريق " ، و هذا المعنى و سابقه كلاهما من المعاني الحقيقية لكلمة السبب .

و من المعاني المجازية : ما يتوصل به إلى غيره ³ ، و بمعنى الحياة ⁴ .

ب. النزول لغة : يأتي بمعنى :

1. الحلول ⁵ ، و منه قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الصافات : 177] ، أي فإذا حل بهم .

2. التحول من علو إلى سفلى ⁶ : فيقال : نزل عن الدابة ، و نزل في البئر .

ج. تعريف سبب النزول اصطلاحاً : هو الواقعة التي حدثت في زمن النبي عليه الصلاة و السلام أو السؤال الذي وجه إليه و نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه ⁷ ، و من ثم فأسباب النزول إما أن تكون وقائع أو أسئلة .

¹ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، 83/1 ، و المفردات الراغب ، ص391.

² أساس البلاغة ، الزمخشري ، ص282.

³ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، 83/1.

⁴ المرجع نفسه ، 83/1.

⁶ المصباح المنير ، أحمد بن محمد ، ص 347.

⁷ الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 90/1 ، و مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ، 106/1.

1. الوقائع : و هي إما أن تكون خصومات أو أخطاء فاحشة ارتكبها المسلمون أو تمنيات

تمناها بعضهم و من أمثلة ذلك :

أ. مثال عن الخصومات : وقعت خصومة بين جماعة الأوس وجماعة من الخروج بدسياسة من اليهود حتى تتادوا بالسلاح ، السلاح فنزل بسبب تلك الخصومة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ [النساء : 42] .

ب. مثال عن الخطأ : ما روي أن رجلا أمّ الناس و هو في حالة سكر قرأ قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ [الكافرون : 1-2] ، و حذف حرف لا من " لا أعبد " ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء : 43] .

ج. مثال عن التمنيات : ما رواه البخاري عن أنس قال : قال عمر وافقت ربي في ثلاث : قلت يا رسول الله : لو اتخذنا من مقام ابراهيم صلى ، فنزلت ﴿ و اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ﴾¹ ، و قلت يا رسول الله : إن نساءك يدخل عليهن البر و الفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك و نساء المؤمنين يذنبن عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾² .

و اجتمع على رسول الله صلى الله عليه السلام نساؤه في الغيرة ، فقلت لهن : عسى ربه إن طلقن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ، فنزل كذلك : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾³ .

الأسئلة : و تكون إما من المسلمين لمعرفة أحكام دينهم أو من الكفار لغرض تعجيز الرسول

صلى الله عليه وسلم .

و من الأمثلة عن أسئلة المسلمين :

¹ البقرة ، الآية 125

² الأحزاب ، الآية 59

³ التحريم ، الآية : 05.

أ. روي عن أنس أنه قال : إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت و لم يواكلوها و لم يشاربوها و لم يجامعوها ، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾¹.

ب. سألو الرسول عليه السلام عن الخمر و الميسر فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾².

من الأمثلة عن الأسئلة الكفار :

أ. سؤالهم عن الروح فأنزل الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾³.

ب. سؤالهم عن الساعة فأنزل الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۖ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾⁴.

ج. سؤالهم عن ذي القرنين فأنزل الله تعالى : ﴿ و يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾⁵.

/2/ التأليف في علم أسباب النزول :

¹ البقرة ، الآية :222.

² البقرة ، الآية 219.

³ الإسراء ، الآية 85.

⁴ الأعراف ، الآية 187.

⁵ الكهف ، الآية 82.

ليعلم ابتداء أن سبب النزول جزء أساسي من الروايات المنقولة حول الآية في كتب التفسير بالمأثور كما هو الحال مع تفسير ابن جرير الطبري (ت:310هـ) و تفسير ابن كثير (ت:774هـ)

كما نجد أسباب النزول في كتب تفسير الأحكام ، فأيات الأحكام ترد متعلقة حوادث شرعت إثرها الأحكام المتضمنة فيها و من هذه التفاسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت:676هـ) .

أما التأليف المستقلة فقليلة و ما وصلنا منها أقل منها : أسباب النزول لشيخ المحدثين علي بن المديني (ت:234هـ) و هو أول من أفرد هذا العلم التأليف و كتابه مفقود ، ثم تلاه أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد الأندلسي القرطبي المعروف بابن فطيس (ت:402هـ) و كتابه كذلك مفقود .

و جاء بعده أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:468هـ) صاحب كتاب أسباب النزول المعروف و هو أقدم مؤلف وصلنا ، و هو عمدة من جاء بعده ، و ألف الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي (ت: 598هـ) كتابا في أسباب النزول ثم جاء " كتاب العجائب في بيان الأسباب " للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:852هـ) ، و أخيرا جاء أشهر الكتب بعد كتاب الواحدي كتاب " لباب النقول في أسباب النزول " للحافظ جلال الدين السيوطي (ت:911هـ) الذي اعتمد على كتاب الواحدي و زاد عليه و من المؤكد أنه استفاد من كتب سابقه .

3. طريق معرفة سبب النزول :

يعرف سبب النزول بالنقل الصحيح ، قال الواحدي : " لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية و السماع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على أسباب و بحثوا عن علمها " ¹.

فلا يمكن إذا معرفة سبب النزول عن طريق الإجتهد و إنما عرف عن طريق النقل و الرواية عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

¹ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 75.

و كل قول في أسباب النزول بدون نقل ورواية فهو من الجناية على كتاب الله و القول على الله بغير علم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : 33] .

و قال تعالى : ﴿ و لا تقف ما ليس لك به علم إنَّ السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ [الإسراء : 36].

لذلك روي عن محمد بن سيرين (ت:110 هـ) أنه قال : "سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال : اتق الله وقل سدادا ، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن " ¹.

4. فوائد معرفة أسباب النزول :

ذكر السيوطي و غيره² فوائد في معرفة أسباب النزول و منها :

أ. إدراك حكم التشريع ، و معرفة مقاصد الشريعة ، و كيف أن الأحكام الشرعية كانت تأتي مناسبة للواقع ، و مسايرة للحدث ، و محققة و مستوفية حاجة المكلف .

ب. معرفة المعنى المراد بالآية : فإن سبب النزول يعين على معرفة المراد و تعيينه ، إذ قد ترد عليه احتمالات صحيحة من حيث هي ، لكن سبب النزول يحدد أحد هذه المعاني ، و يكون هو المراد دون غيره .

قال الشاطبي (ت:790هـ) : " معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن ، و الدليل على ذلك أمران :

أحدهما : أن علم المعاني و البيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن ، فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب – إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال : حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطب أو المخاطب أو الجميع ، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين ، و

¹ جميع من ينقل هذا الأثر يعزوه للواحي في كتابه أسباب النزول ، و هو موجود في مقدمة الكتاب ، ص 02.

² ينظر الأتقان للسيوطي ، 82/1-83 ، و مناهل العرفان للزرقاني ، 109/1.

بحسب مخاطبين ، و بحسب غير ذلك ، كالاسنفهام لفظه واحد و يدخله معنى الاباحة و التهديد و التعجيز و أشباهها ، و لا يدل على معناها المراد إلا الامور الخارجة ، و عمدتها مقتضيات الأحوال ، و ليس كل حال ينقل ، و لا كل قرينة تقتزن بنفس الكلام المنقول ، و إذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة ، أو فهم شيء منه ، و معرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بدّ و معنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال و ينشأ عن هذا الوجه .

الوجه الثاني : و هو أن الجهل بأسباب التنزيل موقّع في الشبه و الإشكالات ، و مُورد لنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف و ذلك مظنة وقوع النزاع ...¹

و من أمثلة ذلك أن مروان بن الحكم قال " اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كلّ امرئ منا فرح بما أتى و أحبّ أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبين أجمعون ، فقال ابن عباس : مالكم و لهذه الآية ؟

إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب ، ثم تلا ابن عباس : ﴿ و إذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس و لا تكتمونه ﴾ هذه الآية [آل عمران : 187] ، و تلا ابن عباس : ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا و يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ [آل عمران : 188] ، و قال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه و أخبروه بغيره ، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه و استحمدوا بذلك إليه ، و فرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه².

ج. دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهرة الحصر ، و مثاله قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَيْبَرِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : 146] .

¹ الموافقات الشاطبي ، تحقيق : مشهور بن حسن آل سلمان ، 4/146-153.

² حديث صحيح ، متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : 4292 و مسلم برقم 2778 .

قال الشافعي ما معناه : " أن الكفار لما حرموا ما أحل الله و أحلوا ما حرم الله ، و كانوا على المضادة جاءت الآية مناقضة لغرضهم ، فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرمتوه و لا حرام إلا ما أحللتوه ، نازلة منزلة من يقول لك ، كل اليوم حلاوة ، فنقول : " لا أكل إلا الحلاوة " ، فالغرض من هذا المضادة لا النفي و الإثبات على الحقيقة"¹.

د. تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ ، و مثاله آيات الظهر ، نزلت في أوس بن الصامت و خولة بنت حكيم بن ثعلبة حين ظاهر منها زوجها ، فالحكم في هذه الآيات خاص بهما رغم أن اللفظ جاء عاما في سورة المجادلة"².

و حمل اللفظ العام على سبب خاص إبطال لدلالة العموم و فائدته ، و لو أراد الله تعالى اختصاص الحكم بالواقعة التي نزل فيها لما أنزله نصا عاما ، و إنما أريد للنص أن يكون قانونا عاما يحري على كل الأشباه و النظائر لتلك القصة التي نزلت الآية لاجلها .
و لذا جاءت القاعدة هنا : " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " .

هـ. الاستفادة منها في مجال الدعوة إلى الله و التربية و التعليم ، فمعرفة أسباب النزول تعطي الداعية إلى الله فرصة كبيرة في التعامل مع الناس على ما هم عليه من الواقع الذي يعيشونه .

5. طريقة التعبير عن سبب النزول :

عبارة سبب النزول إما أن تكون صريحة أو محتملة .

أولا : الصيغة الصريحة : إذا كانت عبارة الراوي بلفظ لا يحتمل غير السبب المذكور ، و تكون الصيغة صريحة في الحالات التالية :

أ. إذا قال الراوي : " سبب نزول هذه الآية كذا "

¹ الإتيان في علوم القرآن ، السيوطي 84/1.

² مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقني ، 112/1.

ب. أن يأتي بفاء تعقيبية داخلية على مادة نزول الآية عقب سرد حادثة ، مثل ما اخرجته مسلم عن جابر قال : كانت اليهود تقول من أتى امرأة في دبرها من قبلها جاء الولد أحول ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة : 223].

ج. أن يقول الراوي : سئل رسول الله عليه الصلاة و السلام عن كذا فنزلت الآية : و مثاله حديث عبد الله بن مسعود قال : " كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة و هو يتوكأ على عسيب ، فمر بنفر من يهود ، فقال بعضهم : سألتموه ، فقال : لا تسألوه ، فإنه يسمعكم ما تكرهون ، فقالوا : يا أبا القاسم ، حدثنا عن الروح ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي ، ثم قال : ﴿ و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾¹ 2.

ثانيا : الصيغة المحتملة : تكون صيغة الرواية محتملة للسببية و غيرها ، و تكون محتملة في الحالات التالية :

أ. إذا كان الراوي يقول "نزلت هذه الآية في كذا " ، فذلك يراد به تارة سبب النزول ، و تارة يراد أنه داخل في معنى الآية .

ب. إذا قال الراوي : ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا ، و مثاله ما رواه عبد الله بن الزبير عن أبيه الزبير ، فقال : ما أحسب هذه الآية إلا في ذلك : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : 65].

6. تعدد الروايات في سبب النزول :

إذا تعددت الروايات في سبب النزول فإن الأمر متوقف على نوعية هذه الروايات و يمكن حصر هذه المسألة في ثلاثة صور :

¹ الاسراء ، الآية : 85.

² رواه البخاري برقم : 4721.

الصورة الأولى : إذا تعددت الروايات و لم تكن صريحة في السببية ، كأن يقول الراوي : " هذه الآية نزلت في كذا " ، و يذكر شيئاً ، و يقول آخر : " هذه الآية نزلت في كذا " ، أو " ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا " ، و يذكر شيئاً غير الذي ذكره ، في هذه الحالة يكون المراد من ذلك التفسير ، و بيان أن ذلك داخل في الآية و ليس المراد ذكر سبب النزول إلا إذا وجدت قرينة على صرف إحداهما إلى السببية .

الصورة الثانية : إذا ذكرت روايتان إحداهما صريحة و الأخرى غير صريحة فنقدم الصريحة على غير الصريحة ، و مثاله :

ما أخرجه مسلم عن جابر قال : كانت اليهود تقول من أتى امرأة من دبرها من قبلها جاء الولد حول ، فأنزل الله ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾¹ .

و ما أخرجه البخاري عن ابن عمر قال : نزلت ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ في إتيان النساء من ادبارهن ، فالمعول عليه في بيان السبب هو رواية جابر لأنها صريحة في الدلالة على السبب .

الصورة الثالثة : إذا تعددت الروايات و كانت كلها صريحة ، و إحداهما تذكر السبب غير السبب الذي ذكرته الرواية الأخرى في هذه الصورة هناك أربع احتمالات :

الاحتمال الاول : إذا كانت احداهما صحيحة و الأخرى غير صحيحة يؤخذ بالصحيحة في بيان السبب دون الاخرى ، و مثاله قوله تعالى : ﴿ و الضحى و الليل إذا سجدى ما ودعك ربك و ما قلى ﴾ [الضحى : 1-3] .

وردت في سبب نزوله روايتان هما :

الأولى : روى البخاري عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال : اشتكى رسول الله صلى عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد

¹البقرة ، الآية : 223.

تركك ، لم أره قريك منذ ليلتين أو ثلاثا ، فأنزل الله عزوجل : ﴿ و الضحى و الليل إذا سجي ما ودعك ربك و ما قلى ﴾ و المرأة المذكورة في الحديث هي أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب¹ .

الثانية : أخرج الطبراني و ابن أبي شيبة عن حفص بن سعيد القرشي قال حدثتني أمي عن أمها خولة خادمة الرسول صلى الله عليه وسلم أن جروا دخل البيت ، فدخل تحت السرير فمات ، فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي ، فقال : يا خولة ما حدث في بيتي ؟ جبريل عليه السلام لا يأتيني ، قالت خولة : لو هيأت البيت كنسته ، فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شيء ثقيل ، فلم أزل حتى أخرجته ، فإذا جرو ميت ، فأخذته فألقيته خلف الجدار ، فجاء نبي الله عليه وسلم ترعد لحياه ، و كان إذا نزل عليه الوحي استقبل الرعدة ، فقال : " يا خولة دثريني " ، فأنزل الله تعالى : ﴿ و الضحى و الليل إذا سجي ما ودعك ربك و ما قلى ﴾ رجح العلماء بين الروایتين فوجدوا أن الرواية الأولى صحيحة أما الثانية فهي غير صحيحة لإسنادها إلى من لا يعرف و بالتالي يكون سبب النزول هو ما ذكرته الرواية الأولى ، و قد صرح الحافظ ابن حجر بترجيح رواية البخاري² .

الإحتمال الثاني : أن تصح الروایتان مع وجود ما يرجح إحداها على الأخرى ، و مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الاسراء : 85] ، ذكرت روايتان في سبب نزول هذه الآية .

الأولى : أخرج البخاري و مسلم عن ابن مسعود قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة و هو يتوكأ على عسيب ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لو سألتموه ، فقال حدثنا عن الروح ، فقام ساعة و رفع رأسه ، فعرفت أنه يوحى إليه ، ثم قال ﴿ قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ .

الثانية : أخرج الترمذي عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل ، فقالوا : اسأله عن الروح فسأله فأنزل الله ﴿ و يسألونك عن الروح ﴾ .

¹ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، 710/8 .

² المرجع السابق ، 710/8 .

و قد رجح العلماء الرواية الأولى على الثانية من ناحيتين :

أ. رواية البخاري و مسلم تقدم على الترمذي .

ب. عبد الله بن مسعود كان حاضرا في القصة ، أما ابن عباس فلم يكن حاضرا .

الاحتمال الثالث : أن تصح الروايتان دون وجود مرجح لأحدهما على الأخرى و لكن يمكن الجمع بينهما ، و مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ و الذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله ﴾ [النور : 4] ، و آية اللعان وردت بشأن سبب نزولها روايتان صحيحتان و هما :

الاولى : أخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس أنّ هلال بن أمية قذف زوجته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سمحاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " البينة أو حد في ظهرك " .

فقال : يا رسول الله : إذا وجد أحدنا رجلا مع امرأته ينطلق يلتمس البينة ، و في رواية ، و الذي بعثك بالحق إنني لصادق و لينزلن الله تعالى ما يبئري ظهري من الحد ، فنزل جبريل عليه السلام و أنزل عليه قوله ﴿ و الذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله ﴾¹ .

الثانية : أخرج الشيخان عن سهل بن سعد : ان عويمر أتى عاصما و قال له : رجل وجد مع امرأته رجلا أيقته أم كيف يصنع ؟ سل لي رسول الله عليه السلام عن ذلك ، فأتى عاصم النبي عليه السلام و سأله فكره عليه السلام المسائل و عابها ، فقال عويمر و الله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله عليه السلام عن ذلك ، فجاءه عويمر فقال : يا رسول الله : رجل وجد مع امرأته رجلا أيقته فيقتل به أم ماذا يصنع ؟

فقال رسول الله عليه السلام : فقد أنزل الله القرآن فيك و في صاحبك² .

¹ حديث صحيح ، أخرجه البخاري برقم 4470 .

² متفق عليه ، أخرجه البخاري ، برقم 4468 ، 4469 ، 4959 ، 5002 ، 5003 ، 6874 ، و مسلم برقم : 1492 .

فالروايتان صحيحتان ، و يمكن الجمع بينهما بالقول أنّ السببين معا نزلت بشأنهما هذه الآية ، وهذا واضح في قوله عليه الصلاة و السلام " ، فقد انزل الله القرآن فيك و في صاحبتك " ¹ .

الاحتمال الرابع : أن تصح الروايتان و لا يوجد ما يرجح إحداها على الأخرى و لا يمكن الجمع بينهما فذهب بعض العلماء الى القول بتكرر النزول " ² ، و لم أمثل لهذا الاحتمال لأنه وقع اعتراض على كثير من أمثله.

7. القواعد المتعلقة بأسباب النزول

1. من القرآن ما نزل ابتداء ، و منه ما نزل لسبب .
2. يُعرفُ السبب عن طريق الرواية و النقل و السماع .
3. ما يقوله الصحابي كسبب نزول آية له حكم الحديث المرفوع و إن لم يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم .
4. إذا روي في سبب نزول الآية أكثر من سبب نتبع الخطوات التالية :
 - أ. إذا كان أحدهما أصح من الآخر قدّم الأصح .
 - ب. إن تساويا في الثبوت و كانا غير صريحين في السببية دخلا جميعا في عموم حكم الآية .
 - ج. إذا كان أحدهما صريحا في السببية دون الآخر قدم الصريح .
 - د. إن كان صريحين في السببية ، سلك فيهما طريق الجمع و التوفيق ، فإن تعذر فالترجيح .
 5. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
 6. صورة السبب قطعية الدخول في العموم ، بمعنى أن سبب النزول مقصود جزما بالآية ، و ليست ظنية الدلالة عليه .

¹ ينظر : مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص81 ، و مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ، 14/1.

² ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ، 107/1..

المحاضرة الثامنة :

جمع القرآن

أولا : أنواع الجمع

1. الجمع في الصدور

2. الجمع في السطور

ثانيا : مراحل جمع القرآن الكريم

1. المرحلة الأولى : جمع القرآن في عهد الرسالة

2. المرحلة الثانية : الجمع في عهد أبي بكر الصديق

3. المرحلة الثالثة : الجمع في عهد عثمان بن عفان

تمهيد:

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 9] ، و كان من قدر الله لحفظ كتابه الكريم أن يسر حفظه ، و هياً له من يكتبه و يدونه ، فصار باقياً إلى قيام الساعة مقروءاً و مكتوباً .

و قد وردت الإشارة إلى حفظه في الصدور و في السطور في عدد من الآيات ، و من أقربها الآيات التي زصفت هذا الكلام من الله تعالى بأنه (قرآن) ، و بأنه (كتاب) .

فالتعبير عنه بأنه (قرآن) فيه إشارة إلى قراءته سواء أكان في الصدور أم في السطور .

و التعبير عنه بأنه (كتاب) إشارة إلى كتابته ، و أنه سيكون محفوظاً في كتب يقرؤها المسلمون .

ومن هذين الإسمين يتكون موضوع جمع القرآن : الجمع في الصدور و الجمع في السطور .

1. الجمع في الصدور : فهو تيسير حفظه للمسلمين ، و هذا من فضل الله على هذه الأمة ، فتراهم في شتى بقاع الأرض يحفظون القرآن ، و بعضهم لا يكاد يعرف العربية لا قراءة و لا كتابة ، و تلك مزية لا تجدها لغير القرآن .

و لقد نصت آيات على تيسير هذا الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و من ثم على أمته التي ستحمل عنه هذا الكتاب الكريم ، و من ذلك قوله تعالى : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ، إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر و ما يخفى ﴾ [الأعلى 6-7] ، و قوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه و قرأه فإذا قرأه فاتبع قرأه ثم إن علينا بيانه ﴾ (القيامة : 16-19) .

و أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة و كان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما - و قال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه - فأنزل الله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه و قرأه ﴾ ، قال : جمعه في صدرك و تقرأه ، ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرأه ﴾ ، قال : فاستمع له و انصت ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه " ¹

و كان من نعمة الله على عباده المسلمين أن رتب لهم الأجر على حفظه ، و قد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها ما رواه الإمام أحمد بسنده عن زر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن

¹ رواه البخاري برقم 5.

النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"¹.

2. الجمع في السطور :

و عند الاطلاق هذا الذي نعنيه في مباحث علوم القرآن ، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:852 هـ) : " المراد بالجمع هنا جمع مخصوص ، و هو جمع متفرقه في صحف ، ثم جمع تلك الصحف في مصحف واحد مرتب السور"².

و قد مر الجمع في السطور بمراحل متعددة ، و قد قسمها العلماء إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : جمع القرآن في عهد الرسالة

المرحلة الثانية : الجمع في عهد أبي بكر الصديق

المرحلة الثالثة : الجمع في عهد عثمان بن عفان

و لكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها و سماتها ، و يمكن تفصيل القول فيها من خلال

الآثار الواردة فيها

ثانيا : مراحل جمع القرآن الكريم

1. المرحلة الأولى : جمع القرآن في عهد الرسالة

لم يكن الاعتماد على الصدور وحده كافيا لحفظ القرآن الذي أراد الله تعالى ان يبقى دستورا للبشر إلى قيام الساعة ، فإن حفظ الصدور لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتربه ما كتب الله على بني آدم من النسيان و الوهم ، و بناء الثقة في الدين عليه مجردا غير ممكن ، لذلك كانت الكتابة ضرورة لا بد منها لحفظه و إبقاء قدسيته ، و القرآن نفسه أشعر بضرورة الكتابة في مواضع كثيرة ، فإن الله تعالى سماه (الكتاب) ، و هذا يقتضي أن يكون مكتوبا .

¹ المسند ، 192/2 ، و أخرجه أيضا أبو داوود برقم 1464 ، و الترمذي برقم 2914 و قال : حسن صحيح ، و ابن ماجه برقم : 3780.

² - فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مكتبة الصفا ، ط 1 ، 1442 هـ / 2003 م .

و لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ جماعة مأمونة من أصحابه ممن كان يعرف الكتابة يكتبون ما كان ينزل عليه من القرآن ، كما كان الإذن غيه عاما لكل من شاء أن يكتب ، و قد قال لهم :

" لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن ، فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحاه"¹.

و علة النهي هنا الخوف من أن يختلط بالقرآن ما ليس منه .

و من اعيان كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بن أبي طالب ، و زيد بن ثابت ، و أبي بن كعب ، و معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهم ، و كانوا جميعا من آمن الناس على كلام الله تعالى ، و هم مزكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم باختياره لهذه الوظيفة الثقيلة ، بل مزكون من الله تعالى بإقرار نبيه صلى الله عليه وسلم على اتخاذهم لذلك .

إن جمع القرآن على العهد النبوي كان بهذين الطريقين : جمعه في الصدور ، وكتابه في السطور .

و كانوا يكتبونه فيما تهيأ لهم الكتابة فيه ، من الجلود و جريد النخل و غير ذلك ، و لم يكن جمعهم له مكتوبا على صفة الكتاب الواحد تجمع أوراقه إلى بعضها لتعذر ذلك يومئذ ، حيث كان القرآن مستمرّ النزول ، و ربّما نزلت الآية أو السورة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ، "ضعوها في موضع كذا و كذا " ، كما كان نسخ التلاوة واردة في حياته صلى الله عليه وسلم ، فلو كان مؤلفا على صفة الكتاب التام لشقّ معه إضافة الجديد و إزالة المنسوخ ، خاصة و أنهم ما كان لهم من آلة الكتابة يومئذ ما تهيأ لمن بعدهم .

2. المرحلة الثانية : الجمع في عهد أبي بكر الصديق

لقد أبان حديث زيد بن ثابت رضي الله عن أغلب ما يتعلق بجمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد أورد الأئمة بأسانيدهم و ممن روى ذلك البخاري ، فيما أسنده عن

¹ حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده برقم : 11085 ، و مسلم برقم : 3004 ، و النسائي في الكبرى برقم : 8008 ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

الزهري قال أخبرني ابن السباق أن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه و كان ممن يكتب الوحي قال : أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة و عنده عمر ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بالناس ، و إنني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعه ، و إنني لأرى أن تجمع القرآن .

قال أبو بكر : قلت لعمر : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟.

فقال عمر : هو و الله خير ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ، و رأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت : و عمر عنده جالس لا يتكلم ، فقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل ، و لانتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففتبع القرآن فاجمعه ، فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر و عمر ، فقمت ، ففتبعت القرآن أجمعه من الرقاع و الأكتاف و العصب و صدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [التوبة : 128] إلى آخرهما ، و كانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، تم عند حفصة بنت عمر ¹.

[الرقاع : جمع رقعة و هي قطعة من جلد ، الأكتاف : جمع كتف و يقصد به الكتف للشاة أو البعير ، العصب : جمع عسيب و هو طرف الجريد العريض من النخل] .

الفوائد المستنبطة من حديث زيد :

1. سبب الجمع ، و الذي دعا إليه : يلاحظ أن الخوف من ذهاب القراء كان سبباً أكيدا في جمع أبي بكر رضي الله عنه ، و في هذا إشارة إلى أنّ ما بين أيديهم من

¹ رواه البخاري برقم : 4679 ، 4986 ، 4989 .

المكتوب لا يعين على حفظ القرآن ، لأنه غير مجموع ، و ان أصل حفظ القرآن إنما هو بالمقروء في الصدور ، فعمدوا إلى تقييده مجموعا مما كتب في الرقاع و الاكتاف و العصب و غيرها ، و مما في صدور الرجال الذي كان هو الأسبق و الأغلب من الحفظ في الصدور .

2. الصفات التي أهلت زيدا لمهمة جمع القرآن :

" إنك رجل شاب عاقل ، و لانتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنتبع القرآن ، فاجمعه "

فذكر أبو بكر رضي الله عنه المقومات الجسمية و العقلية و العلمية التي يتميز بها زيد بن ثابت رضي الله عنه لأجل أن يضطلع بهذه المهمة ، فالشباب له أثره في الحيوية و النشاط ، و العقل له دوره في رجحان العمل و صلاحه ، و كتابته للوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لها أثرها في قدرة زيد على معرفة القرآن و تحقيق نصه بما عند الصحابة من آيات مكتوبة .

و نضيف صفة أخرى أهلت زيدا لهذه المهمة الثقيلة و لم تذكر في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لكنّه ذكر ما كان يتميز به من كتابة الوحي ، بل كان من أخص الصحابة به .

3. لما شرع زيد في جمعه اعتمد على مصدرين :

الأول : ما كان مكتوبا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثاني : الصفة التي وقع عليها الجمع ما كان محفوظا في صدور الحفاظ ، و كان يتوثق في الأخذ من المكتوب غاية التوثيق ، حتى يتيقن أنه مما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم و أنه مما ثبت في العرضة الأخيرة ، و أنه لم تتسخ تلاوته ، و لذلك لم يكن يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب أمام الرسول صلى الله عليه وسلم .

روي عن أبي بكر أنه قال : " اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شيء من القرآن فاكتباه " ¹.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : " المراد بالشاهدين الكتابة و الحفظ " ².

قال أبو شامة المقدسي (ت: 665 هـ) : " كان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ ، و لذلك قال في آخر سورة التوبة ، لم أجد لها مع أحد غيره ، أي لم أجد لها مكتوبة مع غيره ، لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة " ³.

4. جمع القرآن من أجل مناقب و أفضل مزايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، لأنه ضمن للمسلمين حفظ كتابهم من التفرق و الضياع ، و لذلك قال علي رضي الله : أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر ، هو أول من جمع كتاب الله تعالى " ⁴.

5. صنيع أبو بكر الصديق في جمع القرآن ليس من البدع المحدثه ، بل هو مصلحة محققة ، و هو مستمد من القواعد التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم بتشريع كتابة القرآن ، و اتخاذ كتاب يكتبون له الوحي المنزل.

بل إن الصحائف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كتبت كما عهدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان لهم من أمر القرآن سوى جمعه في مصحف واحد ، ثم نسخه في عهد عثمان رضي الله عنه .

3. المرحلة الثالثة : الجمع في عهد عثمان بن عفان

عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

¹ مباحث في علوم القرآن ، صبحي صالح ، ص 76.

² الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 167/1.

³ المرجع نفسه ، 167/1 .

⁴ المرجع نفسه ، 82/1 .

أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، و كان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود و النصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمان بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن (و في رواية : في عريّة من عريّة القرآن) فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصّحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، و أرسل إلى كل أفق بمصحف ممّا نسخوا ، و أمرّ بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ¹.

الفوائد المستنبطة من حديث أنس بن مالك :

1. سبب الجمع و الذي دعا إليه و هو اختلافهم في القراءة في فتح أرمينية و أذربيجان .
2. أنّ القصد من هذا العمل نسخ مصاحف من مصحف أبي بكر رضي الله عنه ، الذي هو أصل جمع القرآن
3. تكوين لجنة لجمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله :
زيد بن ثابت ، عبد الله بن الزبير ، سعيد بن العاص ، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، و الثلاثة منهم مكّيون و زيد بن ثابت مدني ، و قد نص على أن عملهم هو النسخ فحسب .
4. أرشدهم عثمان رضي الله عنه إلى ما يعملونه حال اختلافهم في رسم كلمة ما ، بدلالة قوله " فاكتبوه ، أي فارسموه بطريقة نطق قريش التي نزل القرآن أول ما نزل بلغتها .
5. إلزام النَّاس بما نسخ من مصحف أبي بكر ، و أمرهم بتحريق مصاحفهم و هذا الإلزام سيكون حاسما قاطعا للخلاف ، لاتفاق المصدر .
6. حرق المصاحف التي لا توافق المصحف العثماني :

¹ أخرجه البخاري برقم : 3315 ، 4699 ، 4702 .

قال ابن جرير الطبري في عمل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، " جمعهم على مصحف واحد و عزم على كل من كان عنده مصحف مخالف للمصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه " ¹ ، و استجاب الصحابة رضوان الله عليهم و حرقوا مصاحفهم إلا عبد الله بن مسعود فإنه عارض في بادئ الامر و أبى أن يحرق مصحفه ثم رجع إلى رأي عثمان بن عفان الذي كان في الحقيقة رأي الأمة كلها ، نقل أبو وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود ، قال : " إني قد سمعت القراءة ، فوجدتهم متقاربين ، فاقروا كما علمتم ، و إياكم و الاختلاف ، و التتبع ، فإنما هو كقول أحدكم : هلمّ ، و تعالى " ² .

لم ينفرد عثمان بن عفان برأيه في مسألة حرق المصاحف ، و إنما استشار الصحابة فأشاورا عليه بذلك ، فقد روى أبو بكر الأنباري عن سويد بن غفلة قال سمعت علي بن أبي طالب يقول : يا معشر الناس اتقوا الله و إياكم و الغلو في عثمان و قولكم إحراق المصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ³ .

7. إرسال نسخ إلى مختلف الأمصار : فاحتبس واحد بالمدينة عرف بالمصحف الإمام ، ثم

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يرسل مع كل مصحف حافظا يوافق قراءته .

و قد اختلف العلماء في عدد المصاحف : سبعة أو أربعة أو خمسة ، و ذهب السيوطي إلى

أن عدد المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الأفاق خمسة ، و قال : إن هذا هو المشهور ⁴ .

8. أما الصحف التي نسخ منها عثمان بن عفان رضي الله عنه فردت إلى حفصة و بقيت

عندها حتى توفيت ثم أخذها مروان بن الحكم و كان أميراً على المدينة و حرقها و قال : " إنما

فعلت هذا ، لأن ما فيها قد كتب و حفظ بالمصحف ، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في

شأن هذه الصحف مرتاب ، أو يقول : إنه قد كان شيء منها ثم لم يكتب " ⁵ .

¹ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص:125.

² أثر صحيح ، أخرجه سعيد بن منصور ف سننه ، برقم 24 ، فضائل القرآن ، و ابو عبيد في الفضائل ، ص361.

³ مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ، 182/1.

⁴ الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 167/1.

⁵ أثر صحيح ، أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ، ص24-25 ، و اسناده صحيح .

ثالثاً : الفرق بين جمع الصديق و جمع عثمان بن عفان

مما سبق يمكن الوقوف على الفرق بين المرحلة الثانية و الثالثة ، و الفارق فيهما أمرين اثنين

:

الأول : السبب الداعي للجمع

ففي عهد الصديق الخوف على ذهاب القرآن بذهاب حملته .

أما في عهد عثمان فكان الداعي الخوف على الأمة من الافتتان في دينها بسبب اختلاف

الحروف التي يقرأ بها القرآن .

الثاني : الصفة التي وقع عليها الجمع

في عهد الصديق أوكلت مهمة الجمع ل زيد بن ثابت رضي الله عنه و أما في عهد عثمان

بن عفان رضي الله عنه أوكلت المهمة إلى لجنة رباعية : زيد بن ثابت ، عبد الله بن الزبير ، سعيد

بن العاص ، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

و في ختام هذا المبحث حول جمع القرآن أريد أن أنبه على مسألة في غاية الأهمية و هي أن

كثيراً من التفاصيل المتعلقة بطريقة كتابة المصحف ، و ما فيه من معلومات لم يرد فيها شيء ، و ما

يحكيه العلماء من بعض هذه التفاصيل ، فإنه لم يثبت فيها نص صريح البتة ، فلنتعلق بما صفا و

نترك ما كدر .

المحاضرة التاسعة :

ترتيب الآيات و السور

أولا : ترتيب الآيات

1. معنى الآية

2. ترتيب الآيات

3. عدد آي السور

4. فوائد معرفة الآيات

ثانيا : ترتيب السور

1. معنى السورة

2. الفوائد من تسوير القرآن

3. أقسام سور القرآن

4. ترتيب السور القرآنية

أولاً : ترتيب الآيات

1. معنى الآية : لها معنيان :

أ. في اللغة : يطلق لفظ الآية على عدة معان

المعجزة : و منه قوله تعالى : ﴿ سَلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ ﴾ [البقرة : 209]
أي معجزة واضحة .

العلامة : قوله تعالى ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة :
246] ، و قوله تعالى : ﴿ آيَتِكَ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران : 41]

البرهان و الدليل : و منه قوله تعالى : ﴿ وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ ﴾ [الروم : 21]
.

العبرة : و منه قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴾ [هود : 103] .

ب. في الاصطلاح : هي الجملة من كلام الله المندرجة في سورة من القرآن و حزب من سورة
لها مبدأ و نهاية تسمى الفاصلة¹ .

¹مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 133 .

فالأية هي مجموعة من كلمات القرآن لها بداية و نهاية مندرجة في سورة و أقلها كلمة مثل ﴿

و الفجر﴾

2. حكم ترتيب الآيات :

انعقد اجماع الامة سلفا و خلفا على أن ترتيب الآيات كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله ، و انه لا مجال للرأي و الاجتهاد فيه ، فقد كان جبريل ينزل بالآية و الآيات فيوحها إلى النبي صلى الله عليه وسلم و يدلله على موضع كل آية من سورتها ثم يبلغها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه و يقرؤها عليهم ، و يستحفظهم إياها ، فيحفظونها من فورهم ثم يتلون أمامه ما حفظوا ثم يأمر كتاب الوحي بكتابة ما نزل و يعين لهم السورة التي توضع فيها الآية أو الآيات كما يعين لهم موضع الآية أو الآيات من السورة ، فيقول لهم : ضعوا هذه الآيات في سورة كذا بجانب آية كذا في هذه السورة ، و كان جبريل يعارضه بالقرآن في رمضان من كل عام ، و عارضه في العام الأخير مرتين .

فترتيب الآيات كما هي في المصحف في كل سورة توقيفي ، تلقاه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و لم يجتهد أحد برأيه في وضع آية في موضع ما من القرآن من غير سماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

و من الأدلة على ذلك :

أ. حديث زيد بن ثابت ، رضي الله عنه قال :

فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف فقد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ [الأحزاب : 23] فألحقناها في سورتها من المصحف¹.

ب. حدث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، قال :

قلت لعثمان بن عفان ﴿ و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجا ﴾ [البقرة : 240] .

¹ أخرجه البخاري برقم : 2652 ، 3823 ، 4506.

قال : قد نسختها الآية الأخرى ، فلم تكتبها (أو : تدعها) ؟ قال : يا ابن أخي ، لا أغير شيئاً منه من مكانه ¹.

ج. مجيئ النَّاسِخِ قَبْلَ الْمَنْسُوحِ فِي السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة : 234هـ] ن و قوله " ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۗ ﴾ [البقرة : 240] .

فهذه منسوخة باقي قبلها على قول الأكثرين ، و هي تالية لها في ترتيب الآي ، فلو كان الترتيب اجتهاديا من الصحابة ، لأخروا الناسخ و قدموا المنسوخ ، على القاعدة في هذه المسألة ، فحيث وقعت هذه الصورة كذلك فقد نفت جواز القياس في مثلها ².

د. وقوع الإعجاز في ترتيب الآيات

بترابط أي السورة الواحدة ، وقع التّحدي بالآيتين بسورة مثله ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة : 23]

فالصحابة رضوان الله عليهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله ، فكتبوه كما سمعوه من رسول صلى الله عليه وسلم ، فعمل الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه ، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب و لا بد من التفريق بين ترتيب النزول و ترتيب التلاوة .

قال القاضي أبو بكر (ت: 402 هـ) في الانتصار " ترتيب الآيات أمر واجب و حكم لازم ، فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا " ³.

3. عدد آي السور :

¹ أخرجه البخاري برقم : 4256 ، 4262.

² المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، عبيد الله بن يوسف الجديع ، ص 119 .

³ الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1428هـ / 2008 م ، ص: 87.

اختلف السلف في عدد آيا القرآن الكريم

قال العلامة طاهر الجزائري (ت :1338 هـ) : و أما عدد أي القرآن فقد اتفق العادون على انه ستة آلاف و مائتان و كسر .

و اختلفوا في هذا الكسر على النحو التالي :

في العد المدني الأول : سبع عشرة آية و به قال نافع و هو احد القراء السبعة [6217 آية]

و في العد المدني الثاني : أربع عشرة آية و به قال شيبه بن نصح (ت:130 هـ) [6214 آية] و عشر آيات عند أبي جعفر بن يزيد بن القعقاع (ت:128 هـ) [6210] .

و في العد المكي : عشرون آية و هو منسوب إلى عبد الله بن كثير (ت:120 هـ) [6220 آية] .

و في العد الكوفي : ست و ثلاثون آية و هو مروى عن حمزة الزيات (ت:156 هـ) [6236] .

و في العد البصري : أربع آيات و هو مروى عن عاصم الجحدري (ت :129 هـ) [6204] .

و في العد الشامي : ست و عشرون آية و هو مروى عن يحيى بن الحارث الذماري (ت:145 هـ) تلميذ عبد الله بن عامر (ت:118 هـ) [6226 آية] .

و يعود هذا الاختلاف في عد أي السور لجملة من الأسباب أهمها :

أ. أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآيات للتوقيف ، فإذا علم محلها ، وصل للتمام فيحسب السامع أنها ليست فاصلة ، فقد اختلفوا في تحديد الآية .

ب. البسمة نزلت مع السورة في بعض الاحرف السبعة ، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها ، و من قرأ بغير ذلك لم يعدها .

ج. سبب الاختلاف في الكلمة أن الكلمة لها حقيقة ، و مجاز ، و رسم ، و اعتبار كل منهما جائز و كل من العلماء اعتبر أحد الجوائز ¹.

و خلاصة القول في هذه المسألة أنه لا أثر لهذا الاختلاف في عد آي سور القرآن في جملة آي القرآن من جهة الزيادة و النقص .

4. فوائد معرفة الآيات

لمعرفة الآية و تحديدها فوائد منها :

أ . معرفة الوقف لأن الوقف على رؤوس الآيات سنة .

ب. معرفة الآيات تعين على فهم الآية .

ج. لمعرفة ما تصح به الصلاة فلهذا أثر عند الفقهاء و هو حكم الصلاة بأقل من آية .

د. الإعجاز لا يقع بأقل من ثلاث آيات قصار أو آية طويلة تعادل عدد الآيات الثلاث ²

ثانيا : ترتيب السور

1. معنى السورة :

أ. في اللغة : المنزلة و الشرف و ما طال من البناء و حسن ، و كلمة السورة قيل انها مأخوذة من سور المدينة بما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة و آية بجانب آية كالسور توضع فيه لبنة بجانب إلى أن يتم البناء ، أو تشبيها بالسور لكونه يحمي المدينة و يحصنها من غارات الأعداء ، و قيل : مأخوذة من السورة بمعنى المنزلة لأن سور القرآن مراتب و منازل يترقى فيها القارئ من منزلة لأخرى .

قال مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت:817 هـ) : " و سميت السورة (سورة)

تشبيها لها بالسور ، لكونها تحيط بالآيات إحاطة السور بالمدينة " ¹ .

¹ ينظر : البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، 251/1-252 .

² مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ، 346/1 .

ب. في الاصطلاح : طائفة من آيات القرآن ذات مطلع و مقطع و كل سورة في القرآن بدأت بالبسملة إلا براءة (التوبة) نزلت دونها لأن جبريل لم ينزل بها ².

و تختلف سور القرآن طول و قصرا ، و أطول سورة هي سورة البقرة و أقصر سورة هي الكوثر و عدد آياتها ثلاث .

و عدد سور القرآن العظيم باتفاق العلماء مائة و أربع عشرة سورة كما في المصحف العثماني أولها الفاتحة و آخرها الناس ، و قال مجاهد بن جبر (ت:104 هـ) و ثلاث عشرة بجعل الانفال و التوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين و عدم البسملة ³.

2. الفوائد من تسوير القرآن :

لتسوير القرآن فوائد عديدة منها :

أ. تيسير حفظه و فهمه على الناس .

ب. الدلالة على موضوع الحديث و محور الكلام ، لأن كل سورة تتناول موضوعا معينا و تجعله محورا لها .

ج. الترغيب في مدارس القرآن و حفظه ، لأنه من حفظ من القرآن سورة أو أكثر يشعر أنه أخذ جزءا يسيرا فيجتهد ليقرا المزيد .

د. يتعلم الباحث من تسوير القرآن حسن التوبيب و الترتيب ، فيجعل في بحوثه أبوابا و فصولا تأسيا بالقرآن الكريم و لكي يسهل على القارئ تحديد الفصل أو الباب .

3. أقسام سور القرآن الكريم

قسمت سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام :

¹ بصائر ذوي التمييز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق ، محمد علي النجار ، دار المعرفة ، بيروت ، 274/3.

² مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ، 350/1.

³ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، 251/1.

أ. السور الطوال : و هي سبع سور : البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، الأنفال ، و قيل : الأنفال و براءة لعدم الفصل بينهما بالبسمة ، و قيل : يونس .

ب. المئون : و هي التي تزيد آياتها على المائة أو تقاربها .

ج. المثاني : هي التي تليها في عدد الآيات .

د. المفصل : و يقصد به قصار السور ، و سمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسمة (و فيه 66 سورة) ، و قد اختلف العلماء في سور المفصل فقيل : من " ق " إلى الناس " ، و قيل من " الحجات " إلى " الناس " ¹.

4/ ترتيب السور القرآنية :

إذا كان العلماء قد أجمعوا على أن ترتيب الآيات توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم بأمر من جبريل ، فإنهم اختلفوا في ترتيب السور على ثلاثة أقوال :

الأول : أنه بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم

الثاني : أن الترتيب باجتهاد الصحابة .

الثالث : من يرى أن بعضه توقيفي و بعضه اجتهادي .

القول الأول : أن ترتيب السور السور توقيفي منقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا سورتي الأنفال و براءة فإن وضعها في موضعها كان باجتهاد عثمان رضي الله عنه ووافق عليه الصحابة ، و من رجح هذا القول البيهقي ، و جلال الدين السيوطي

و استدل أصحاب هذا القول ب :

¹ ينظر : الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 179/2-180.

أ. أخرج ابن أبي شيبة عن أنس بن خالد أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالسبع الطوال في ركعة ، و أنه كان يجمع المفصل في ركعة¹ ، فهذا الحديث يفيد بأن السبع الطوال كانت مرتبة من عند الرسول صلى الله عليه وسلم و كذلك المفصل .

ب. أخرج الإمام أحمد في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، و أعطيت مكان الانجيل المثاني و فضلت بالمفصل "².

قال أبو جعفر النحاس (ت : 338هـ) : " هذا الحديث يدل على ان تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم و انه من هذا الوقف هكذا "³.

ج. أن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان و لم يخالف أحد منهم ، و إجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف ، لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم .

القول الثاني : أن ترتيبها كان باجتهاد الصحابة و قد جنح إلى هذا المذهب الإمام مالك و القاضي أبو بكر ، قال بدر الدين الزركشي (ت: 794 هـ) : " قال أبو الحسين أحمد بن فارس : جمع القرآن على ضربين : احدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال ، و تعقيبهما بالمئين و هذا الضرب هو الذي تولته الصحابة رضي الله عنهم ، و أما الجمع الآخر فضم النبي بعضها إلى بعض ، فذلك شيء تولاه رسول صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عزوجل "⁴

و استدل هؤلاء على مذهبهم بأن مصاحف السلف من الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور ، كمصحف علي رضي الله عنه ، و مصحف ابن مسعود و أبي بن كعب ، فلو كان ترتيب السور توقيفياً متلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم كترتيب الآيات ، لما اختلفت فيه المصاحف و هذا الاستدلال مردود من ثلاثة أوجه :

¹ أسرار ترتيب القرآن ، السيوطي ، ص 104.

² المرجع نفسه ، ص 104.

³ المرجع نفسه ، ص 104.

⁴ البرهان في علوم القرآن ، الزركشي .

1. أن المصاحف المذكورة كتبت قبل العرضة الأخيرة .

2. أنه قد ورد في الأحاديث الصحيحة ما يدل على ترتيب كثير من السور كان معلوما في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

3. أن زيدا بن ثابت الذي أسند إليه عثمان بن عفان رئاسة جمع القرآن ، لا بد أن يكون ترتيبه للسور قد تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
و يجدر التنبيه على أنّ هذا القول عليه كثير من العلماء و عندهم جملة من الأدلة .

القول الثالث : ترتيبه لبعض السور كان من النبي صلى الله عليه وسلم و بعضها الآخر كان بالاجتهاد الصحابة¹ .

وهذه الأقوال الثلاثة تؤول إلى قولين : التوقيف و الاجتهاد و لكل قول وجه معتبر ، و حظ من النظر .

و الخلاف بين القول الاول و الثاني قوي جدا ، و قد رجح القول الاول جلال الدين السيوطي و غيره² .

و خلاصة الكلام في هذه المسألة أنه رغم قوة الخلاف في ترتيب السور إلا انه يجب التزام هذا الترتيب في كتابة المصاحف و طبعها لأنه أجمعت عليه الصحابة و التابعون و تابعوهم ، و الأئمة المجتهدون ، و تلقته الأمة الإسلامية بالقبول ، و مخالفته على المسلمين أبوابا من الفتن لا سبيل لهم إلى سدها .

5. أسماء السور :

لم يرد نص بتسمية كل سورة من سور القرآن باسم يخصّها ، إنّما وردت أحاديث كثيرة في تسمية كثير من السور ، كالفاتحة و البقرة و آل عمران ، و غيرها ، و لم يحفظ ذلك في كل السور ، و المعتمد فيها ما اعتاده المسلمون من أسمائها .

¹ الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 179/1.

² المرجع نفسه ، 179/1.

و عن سعيد بن جبیر ، قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ، قال : قل سورة النَّصْبِر¹ .

قال أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني (ت:402هـ) : " كأنَّ ابن عباس كره تسميتها سورة الحشر ، لئلا يظن أنَّ المراد بالحشر يوم القيامة ، أو لكونه مجملا ، فكره النسبة إلى غير معلوم² .

و منه تبين أن تسمية سورة القرآن لم تكن توقيفية عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، و إلا لما ساغ لابن عباس أن يخالف ذلك .

و من السور ماله أكثر من اسم ، و كل ذلك واسع ، فالفاتحة ورد تسميتها ب (الفاتحة) و (أم الكتاب) و (أم القرآن) ، و غير ذلك ، و اسم (التوبة) و (براءة) لسورة واحدة ، و (الإسراء) و (بني اسرائيل) لسورة واحدة و هكذا .

أما ما هو مذكور في فواتح السور في المصاحف من أسمائها ، فذلك مما زاده كتاب المصاحف تعريفا بالسورة ، كما زادوا ذكر المكي و المدني و عدد آي السورة ، و لم يكن شيء من ذلك موجودا في المصاحف العثمانية ، فليست تلك التسمية جزءا من المصحف .

و خلاصة القول في أسماء السور أنَّه يمكنها تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

1. ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، و من أمثلته :

ما رواه مسلم عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين : البقرة و سورة آل عمران ، فأنتهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرق من طير صواف - تحاجان عن أصحابهما .

اقرؤوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة ، و تركها حسرة ، و لا يستطيعها البطلة³ .

¹ أخرجه البخاري برقم : 3805 ، 4601 .

² فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، 332/7-333 .

³ مسلم برقم : 804 .

و ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أم القرآن هي السبع المثاني و القرآن العظيم " ¹ .

2. ما ثبت تسميته عن الصحابي كمثال سورة الحشر الذي مر معنا .

3. تسمية من دون الصحابي إلى وقتنا هذا ، و غالب تسمياتهم تأتي حكاية لبداية السورة ، كقولهم : سورة (أرأيت) ، سورة (لم يكن ، و هكذا ، حيث إنه لم يرد النهي عن تسمية السور بأسماء تدل عليها ، و على هذا مضى السلف و الخلق ، حتى صار تسمية السورة بحماية أولها ، و ذلك هو الغالب على الزوايا و المدارس القرآنية ، و دور تحفيظ القرآن الكريم .

¹ البخاري برقم : 4707.

المحاضرة العاشرة :

الناسخ و المنسوخ

أولا : تعريف النسخ

1. المعنى اللغوي

2. المعنى الاصطلاحي

ثانيا : آراء العلماء في النسخ

ثالثا : طرق معرفة النسخ

رابعا : ما يتناوله النسخ

خامسا : شروط النسخ

سادسا : أنواع النسخ

القسم الاول : باعتبار المنسوخ

1. نسخ الحكم مع بقاء التلاوة

2. نسخ التلاوة مع بقاء الحكم

3. نسخ التلاوة و الحكم

القسم الثاني : باعتبار الناسخ

1. نسخ قرآن بقرآن

2. نسخ سنة بسنة

3. نسخ قرآن بسنة

4. نسخ سنة بقرآن

سابعا : الاختلاف في عدد الآيات المنسوخة في القرآن

ثامنا : الحكمة من النسخ .

العلم به عظيم الشأن ، و قد صنف فيه كثيرون : منهم قتادة بن دعامة السدوسي (ت:118 هـ) ، و أبو عبيد القاسم بن سلام ، و أبو داود السحبستاني (ت:224 هـ) ، و أبو جعفر النحاس ، و هبة الله بن سلام الضرير (ت:275 هـ) ، و ابن العربي (ت:410 هـ) ، و ابن الجوزي (ت:543 هـ) ، و ابن الأنباري (ت: 304 هـ) و مكى بن أبي طالب (ت:437 هـ) ، و غيرهم .

و قد نص العلماء أنه لا يجوز لاحد أن يفسر كتاب الله ، إلا بعد أن يعرف منه الناسخ و المنسوخ ، و قد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقااص : أتعرف الناسخ و المنسوخ ؟ قال : الله أعلم : قال : هلكت و اهلكت¹ .

أولاً : تعريف النسخ

للسنخ معنيان لغوي و اصطلاحي

1. المعنى اللغوي : لكلمة النسخ عدة معاني في اللغة و هي :

أ. الإزالة : نسخ الشيء : أي إزالته ، تقول نسخت الشمس الظل أي أزالته ، و منه قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [البقرة : 106] .

ب. النقل : مثل قولك نسخت الكتاب : أي نقلت ما فيه ، قال الله تعالى : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون ﴾ [الجاثية : 29] ، و هذا المعنى (النقل) ، لا يتفق مع النسخ بالمعنى الاصطلاحي ، لأن الناسخ لا يأتي بلفظ المنسوخ ، و إنما بلفظ آخر .

ج. التبديل : و هو جعل الشيء مكان آخر ، و منه قوله تعالى : ﴿ و إذا بدلنا آية مكان آية ﴾ [النحل : 101] .

2. المعنى الاصطلاحي : أما النسخ في الاصطلاح ، فقد عرفوه بتعريفات مختلفة ، متقاربة كلها تدل على حقيقة واحدة و ان اختلفت عباراتها في الدقة و من اوجز هذه التعاريف :

النسخ : " هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي لا حق "

¹ الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 326/2.

و هذا التعريف يتفق و معنى الإزالة و التبديل فالنسخ هو إبدال حكم بحكم آخر أو إزالة الحكم دون وضع حكم جديد¹.

فالنسخ إذا هو التوقف عن العمل بمضمون الآية أو النص القرآني .

و هو لا يخرج عن إطار انشاءات القرآن ، و لا يمس تقريراته و أخباره في شيء عن الكون و الطبيعة و التاريخ .

ثانيا : آراء العلماء في النسخ

ذهب جمهور العلماء إلا أبي مسلم الأصفهاني (ت:322هـ) إلى ان النسخ جائز شرعا و عقلا ، و استدلوا بعدة أدلة منها :

1. النص صراحة على إمكانية النسخ بقوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [البقرة : 106].

2. وقوع النسخ فعلا ، فقد نسخ حكم التوجه إلى بيت المقدس و حولت القبلة إلى بيت الله الحرام بعد الهجرة بقوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۚ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة : 144] .

3. إن سلف الأمة قد تحدثوا عن النسخ في الشريعة الإسلامية ، و صنفوا فيه و جعلوه شرطا للإجتihad .

4. إن في القرآن آيات كثيرة قد نسخت أحكامها .

و رفض أبو مسلم الأصفهاني القول بوقوع النسخ ، و قال ما ورد في القرآن إنما هو تخصيص و استدلال بقوله تعالى : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : 42] . فقال : لو قلنا بوقوع النسخ لكان ذلك إبطالا و القرآن نص صراحة على

¹ مباحث في علوم القرآن ، صبحي صالح ، 259-260.

عدم الإبطال ، فإن قلنا به فقد عارضنا صريح القرآن ، فالذي وقع في القرآن إنما هو تخصيص لبعض الأحكام ببعض الأزمان و الأشخاص .

و قد اعترض المجيزون للنسخ على قول أبي مسلم ، فقالوا : إن كلا من النسخ و التخصيص قد وقع في القرآن وهما مختلفان من حيث :

1. التخصيص : هو قصر العام على بعض أفرادها مع بقاء الحكم ، أما النسخ : فهو إزالة كاملة للحكم بحيث يكون الخطاب غير متعلق بأحد من المكلفين .

2. النسخ لا يكون إلا بالقرآن و السنة ، أما التخصيص فيكون بهما و بغيرهما كالحس و العقل ، و مثال التخصيص قوله تعالى : ﴿ و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ [المائدة : 38] ، فقد خصصه قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا " ¹ ، و مثاله كذلك قوله تعالى : ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ [الأحقاف : 24] .

و هذه الآية قد خصصها ما شهد به الحس من سلامة الأرض و السماء و عدم تدمير الريح لهما ، و منه فقول أبي مسلم الأصفهاني مردود ، بعد أن استقر أكثر العلماء على جواز النسخ ² .

أما غلاة الشيعة الروافض فقد غلوا في إثبات النسخ و أجازوا البداء على الله تعالى و البداء (بفتح الباء) في اللغة :

أ. الظهور بعد الإختفاء .

ب. إنشاء حكم جديد لم يكن في السابق .

¹ متفق عليه رواه البخاري (6789) ، و مسلم (1684) .

² ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني ، 185/2 ، و مباحث في علوم القرآن ، صبحي صالح ، ص262.

و استدلووا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد :34] . قالوا معناه : إنّ الله ينزل ما يكون له من رأي ثم ينشأ له رأي يخالف ذلك ، فيمحوا الأول و يثبت الثاني¹ .

و البداء في الاصطلاح : هو مرادف للمعنى الثاني في اللغة ، و هو نشوء رأي جديد لم يكن من قبل .

و اليهود ينكرون النسخ ظنا منهم أنه نوع من أنواع البداء ، فكان النسخ عندهم يدل على الجهل و عدم إحاطة العلم ، و تغيير الرأي ، و ليس الأمر كما ظنوا ، فإن تغيير أحكام الله الشرعية مثل تغيير أحكامه الكونية ، فكما أنّ الإمامة بعد الاحياء ، و الفقر بعد الغنى أو عكسه ، و الصحة بعد المرض أو عكسه و غير ذلك من الاحكام الكونية القدرية لا تدل على البداء ، فكذلك تغيير الاحكام الشرعية ، فأحكام الله عزوجل و أفعاله في خلقه تتغير لا لتغير في علمه ، و لكن لكامل علمه بما يصلح لعباده ، فتتغير أحكامه الشرعية تبعا لتغير أحوال عباده التي تقتضي مصلحتهم تغييرها .

و الفرق بين النسخ و البداء هو أن البداء تتغير الاحكام معه ، تبعا لتغير الأحوال و الظروف تغيرا مفاجئا ، فهو إذن يدل على قصور في العلم .

و أما النسخ فهو تغيير الأحكام لتغيير الاحوال و الظروف مع العلم بذلك فالنسخ على هذا نوع من أنواع البيان يدل على انتهاء مدة الحكم الأول ، تبعا لانتهاء مدة صلاحيته ، طبقا لما تقتضيه سياسة التدرج في تربية الشعوب و المجتمعات ، فالنسخ يدل على انتهاء مدة الأحكام المرحلية² .

¹ عقدة الجمان في علوم القرآن ، على حسن رضوان ، ص37.

² مناهل العرفان في علوم القرآن ، الزرقاني ، 2/180-184.

ثالثاً : طرق معرفة النسخ :

لكي يتحقق النسخ لا بد أن يوجد تعارض حقيقي بين النصين و لا يمكن الجمع بينهما ففي يحكم بأن أحج النصين (الدليلين) ينسخ الآخر ، و الناسخ دائماً يكون متأخراً في النزول عن المنسوخ ، و يعرف المتأخر بأحد الطرق التالية :

- أن يكون في أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منها ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم " كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها"¹.
- أن ينعقد الاجماع على تعيين المتقدم و المتأخر .
- أن عن احد الصحابة بطريقة صحيحة ما يفيد تعيين المتقدم و المتأخر من النصين المتعارضين ، فيقول مثلاً : نزلت هذه الآية بعد ذلك .
- فطريقة معرفة النسخ هو النقل وحده ، فلا يجوز القول بالاجتهاد المحض و القياس في الناسخ و المنسوخ .

رابعاً : ما يتناوله النسخ

- عرفنا أنّ النسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل لا حق يفيد صراحة بأن النسخ يتناول كل الاحكام الشرعية التي ترد في القرآن أو السنة و يستثنى من النسخ الامور التالية :
1. أحكام العقائد لأنها حقائق ثابتة لا تقبل التغيير و التبديل .
 2. أصول العبادات و المعاملات ، كالصلاة و الإحسان إلى الناس و التعاون على البر و التقوى .

3. أصول الاخلاق ، لأنها ثابتة يحتاج إليها البشر في كل زمان و مكان .
4. الأخبار المحضة ، لأنها نسخها يدل على الكذب ، و هذا محال على الله سبحانه و تعالى

خامساً : شروط النسخ

يمكننا أن نستخلص شروط النسخ من تعريفه و هي :

¹أخرجه النسائي في الجنائز ، باب زيارة القبور ، 2032/4 ، و مالك في الموطأ ، 485/2 و ابن ماجة في الجنائز ، باب ما جاء في زيارة القبور ، 1069/1.

1. أن يكون المنسوخ حكما شرعيا ، فلا نسخ في الأخبار ، و إنما يكون النسخ في الامر و النهي و لو جاء في صيغة الخبر فالعبرة بالمعنى و المضمون .
2. أن يكون الناسخ دليلا شرعيا ، أي أن يكون نصا من القرآن و السنة ، فلا نسخ بالدليل العقلي و لا العرفي .
3. أن يكون الدليل الناسخ متراخيا عن دليل الحكم المنسوخ ، غير متصل به اتصال القيد بالمقيد .
4. أن لا يكون الدليل المرفوع حكمه مقيدا بوقت معين .
5. أن يكون بين الناسخ و المنسوخ تعارض حقيقي ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال إلا بارتفاع أحدهما¹.

سادسا : انواع النسخ : و نقسمه إلى قسمين

القسم الأول : باعتبار المنسوخ .

القسم الثاني : باعتبار الناسخ

القسم الأول : باعتبار المنسوخ .

النوع الأول : نسخ الحكم مع بقاء التلاوة

مثاله : قوله تعالى : ﴿ و التي يأتين الفاحشة من نسائك فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ [النساء : 15] ، نسخ بقوله تعالى : ﴿ الزانية و الزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [النور : 2] كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما².

¹ ينظر : محاضرات في علوم القرآن ، فضل عباس ، ص206.

² حديث حسن ، أخرجه أبو داود برقم : 4413 من طريق يزيد النحوي عن عكرمة ، عن ابن عباس .

و عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مئة و نفي سنة ، و الثيب بالثيب جلد مئة و الرجم " ¹.

وهذا النوع من النسخ فرض على الفقيه تمييزه في نصوص الكتاب و السنة ، ذلك لما له من الأثر في الاحكام العلميّة و هو الذي اجتهد المصنفون في باب النسخ في تتبعه و جمعه .
و قد ذكر السيوطي أن بقاء التلاوة دون الحكم في حكمتان :

الاولى : إنّ القرآن كما يتلى لمعرفة أحكامه ، يتلى لكونه كلام الله يثاب على تلاوته فتركت التلاوة لهذه الحكمة .

الثانية : أقيت التلاوة تذكيرا بنعمة الله تعالى برفعه المشقة على عباده لأن النسخ غالبا ما يكون للتخفيف ².

النوع الثاني : نسخ التلاوة مع بقاء الحكم

و هذا النوع قليل الوجود في النصوص المنقولة إلينا ، و ثبوت حكمه مع نسخ تلاوته إنما عرّف عن طريق النقل الثابت و من أمثلته ما يلي :

حديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إنّ بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق ، و أنزل عليه الكتاب ، فكان ممّا أنزل الله آية الرجم ، فقرأناها و عقلناها ووعيناها (و في رواية ، و قد قرأتها : الشيخ و الشیخة إذا زنيا فارجموهما البتّة) ، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، (و في رواية ، و لولا أن يقولوا : أثبت في كتاب الله ما ليس فيه ، لأثبتها كما أنزلت) ، فأخشى إن طال بالنّاس زمان أن يقول قائل : و الله : ما نجد آية الرجم في كتاب الله ،

¹ أخرجه أحمد و مسلم برقم : 1690 و أبو داود برقم : 4415 ، 4416 ، و الترمذي برقم : 1434 و النسائي في الكبرى برقم : 7143 ، 7144 ، و ابن ماجه برقم : 2550 و الدارسي برقم : 2241.

² الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 330/1.

فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، و الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال و النساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحبل ، أو الاعتراف¹.

و الأخبار المثبتة لوقوع هذا النوع من النسخ أكثر من المثال ، و سبب تسمية هذا نسخا من جهة كونه قد رفع فهو إطلاق لفظ النسخ على مجرد الرفع .

و من النَّاس من ذهب إلى ردّ وجود هذا النوع من النسخ ، و تعرض لبعض الأحاديث الواردة بذلك بالتضعيف ، و لأخرى بالتأويل و لم يتعرض لطائفة أخرى منها و هي ثابتة صريحة كحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي مرّ معنا .

النوع الثالث : نسخ التلاوة و الحكم

و هو نوعان :

الأول : ما بلغنا لفظه أو موضوعه ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن : عشر رضعات معلومات يُحرّمن ، ثم نسخن بخمس معلومات².

و الثاني : ما بلغنا مجرد الخبر عنه و رفع منه كل شيء ، كما في حديث زرّ بن حبيش قال : قال لي أبي بن كعب : كأيّن تقرأ سورة الأحزاب ؟ أو كأيّن تعدّها ؟ قال : قلت له : ثلاثا و سبعين آية ، فقال : قطّ ؟ لقد رأيتها و إنها لتعادل سورة البقرة³.

فهذان النوعان يندرجان عند أهل العلم تحت النسخ ، لأنّ ذلك قد أزيل ورفع بعدما أنزل ، و عند طائفة تحت الإنساء ، و الأمر في ذلك قريب ، فهذه الآيات أنزلت ثم رفعت ، فهي منسوخة و هي مُنساءة .

¹ حديث متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : 6441 ، 6442 ، 6892 و مسلم برقم : 1691.

² أخرجه مالك في الموطأ برقم 1780 ، مسلم برقم 1452 ، و أبو داود برقم 2062 و الترمذي برقم : 1150 ، و النسائي برقم : 3307.

³ أخرجه الطيالسي في مسنده برقم 540 ، و عبد الرزاق في مصنفه برقم : 5990 و النسائي في الكبرى برقم : 7150 و عبد الله بن احمد في زوائد المسند : 132/5 و ابن جبان برقم : 4428 و الحاكم برقم : 3554.

قال الله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ [البقرة : 106] و في قراءة ، أو " نُنسُّها " ¹ أي نؤخرها ، فالنسيء في اللغة : التأخير ، و في الاصطلاح : " هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي لا حق لعله " فيكون الرفع لأجل العلة ، فإذا لم توجد العلة لا يرتفع الحكم .

و منه يتضح الفرق بين النسخ و النسيء فالنسخ رفع للحكم بصفة دائمة ، أما النسيء : فهو رفع الحكم أو تأخيره إلى حين توفر علته .

القسم الثاني : باعتبار الناسخ

النوع الاول : نسخ قرآن بقرآن

مثل نسخ التخيير للقادر على الصوم بين أن يصوم أو يفتدي بالصوم دون الفدية .

فالحكم المنسوخ في قوله تعالى : ﴿ و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له و ان تصوموا خير لكم ﴾ [البقرة : 184] ، و الناسخ له قوله تعالى في الآية بعدها ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ [البقرة : 185] .

فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية " ﴿ و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ ، كان من أراد منّا أن يفطر و يفتدي فعل ، حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسختها .

و لا يختلف أهل العلم أنّ هذه الصورة للنسخ واقعة في مواضع في القرآن ، تتفاوت أقوالهم في عددها ، و التحقيق أنها قليلة .

النوع الثاني : نسخ سنة بسنة : مثل حكم التطبيق في الركوع : فالمنسوخ ما حدّث به علقة بن قيس و الأسود بن يزيد : أنهما دخلا على عبد الله (وهو ابن مسعود) ، فقال : أصلى من خلفكم ؟ قالوا : نعم ، فقام بينهما ، و جعل أحدهما عن يمينه و الآخر عن شماله ، ثم ركعنا ،

¹ على قرأنتي عبد الله بن كثير المكي و أبي عمرو بن العلاء البصري من السبعة .

فوضعنا أيدينا على ركبنا ، فضرب أيدينا ، ثم طبّق بين يديه ، ثم جعلهما بين فخذيّه ، فلما صلى قال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ¹.

و النَّاسِخُ مَا حَدَّثَ بِهِ مِصْعَبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، قَالَ : صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ أَبِي ، فَلَمَّا رَكَعَتْ شَبَّكَتْ أَصَابِعِي ، وَ جَعَلْتُهُمَا بَيْنَ رِكْبَتَيْ ، فَضَرَبَ يَدَيَّ ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ : قَدْ كُنَّا نَفْعَلُ هَذَا ، ثُمَّ أَمَرْنَا أَنْ نَرْفَعَهُ إِلَى الرَّكْبِ ².

و هذا النوع من النسخ لا خلاف بين العلماء في صحته .

النوع الثالث : نسخ قرآن بسنة .

اختلف فيه العلماء على رأيين :

الرأي الأول : ذهب إلى جواز نسخ القرآن بالسنة كل من الإمام مالك و أصحاب أبي حنيفة و جمهور من المعتزلة ، و قد استدل أصحاب هذا الرأي بالمعقول و المنقول و من أدلتهم :

1. دليلهم من المعقول إن كلا من القرآن و السنة وحي من الله تعالى : ﴿ و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم : 03] ، و لا فرق بينهما إلا في الألفاظ إذ أن القرآن من عند الله ، أما ألفاظ السنة فهي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و هذا الفرق لا يؤثر ما دام أنّ كلا من القرآن و السنة من عند الله .

2. دليلهم من المنقول : ثبت أن السنة قد نسخت القرآن ، و ذلك بالنسبة للوصية للوارث يقول السرخسي (ت:490 هـ) : " إنّ قوله تعالى : " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين و الأقربين ﴾ فهذه الآية دليل على أن الوصية للوالدين و الأقربين فرض ، ثم نسخ بقوله صلى الله عليه وسلم : " لا وصية لوارث " ، و هذه سنة مشهورة ، و لا يجوز أن يقال

¹ أخرجه مسلم برقم : 534.

² متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم : 757 ، و مسلم برقم : 535.

إنما النسخ ذلك بآيات المواريث ، لأن فيها إيجاب لهم بطريق الإرث لا ينافي حقا آخر ثابتا بطريق آخر ، و دون المنافاة لا يثبت النسخ¹.

الرأي الثاني : ذهب الإمام الشافعي و الإمام أحمد في إحدى روايته عنه ، و أكثر أهل الظاهرية إلى عدم جواز نسخ القرآن بالسنة ، و من أدلتهم :

1. قوله تعالى : ﴿ و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [النحل : 44] .

فهذه الآية تفيد ان وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم هي بيان القرآن ، و السنة إن نسخت القرآن فقد تجاوزت حدود وظيفتها لأنها لا تكون بيانا فقط و إنما تكون رافعة للقرآن ، و هذا يتناقض مع نص الآية².

2. إن القرآن هو الذي أثبت الحجية للسنة النبوية ، فلو نسخت السنة القرآن لعادت على نفسها بالإبطال .

3. كما استدلوا على عدم جواز نسخ القرآن بالسنة بقوله تعالى : ﴿ و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا : إئت بقرآن غير هذا ، أو بدله ، قل ما يكون لي أن أبدله عن تلقاء نفسه ﴾ [يونس : 15] و هذه الآية تفيد أن السنة لا تنسخ القرآن لأنها نابعة من نفس الرسول صلة الله عليه وسلم و الله أمر الرسول أن ينفي إبدال القرآن من تلقاء نفسه .

4. استدلوا بقوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، ألم تعلم أنّ الله على كل شيء قدير ﴾ [البقرة : 106] .

وقد اعترض على هذا الرأي بأن السنة و هي كالقرآن ، و ما فرض الله عزوجل من طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، و بالإجماع بأن بيان النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن حجة ملزمة كالقرآن ، لقوله تعالى : ﴿ و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [النحل : 44] ، و النسخ بيان .

¹ أصول السرخسي ، السرخسي ، تحقيق : أبو الوفاء الأخفاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1973 ، 69/2.

² أصول السرخسي ، السرخسي ، 67/2.

جمهور أهل العلم على صحة نسخ حكم ثبت بالسنة بآية من كتاب الله ، و أبى ذلك الشافعي

، مستدلا بكون السنة مبينة للكتاب ، فكيف ينسخ المبيّن ؟

و الشافعي لا يخالف أن السنة أثبتت أحكاما و شرائع ليست في كتاب الله ، فإذا صح هذا لم يمتنع أن تأتي بحكم فيأتي القرآن نسخه ، ثم ان صحة نسخ الآية بالسنة تدل بطريق الاولى على صحة نسخ السنة بالآية¹.

و مثال السنة المنسوخة : فرض استقبال بيت المقدس في الصلاة أوّل الأمر ، و ذلك ما دلّ على إثباته قوله تعالى : ﴿ و ما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلاّ لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ [البقرة : 143] .

و الناسخ له قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة : 144] .

و بيانه في حديث عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي و هو بمكة نحو بيت المقدس و الكعبة بين يديه ، و بعدما هاجر إلى المدينة بستة عشر شهرا ، ثم صُرفَ إلى الكعبة².

سابعا : الاختلاف في عدد الآيات المنسوخة في القرآن

قد كثر الإختلاف في الناسخ و المنسوخ و هذا مرده لاختلاف مناهج العلماء فمنهم المكثر الذي اشتبه عليه الأمر فأدخل في النسخ ما ليس منه ، و منهم المتحري الذي يعتمد على النقل الصحيح في النسخ .

و من أسباب التوسع في القول بالنسخ :

¹ ينظر : الرسالة للشافعي ، ص108-11-222.

² أخرجه أحمد برقم 2991 ، و البزار برقم 418 ، و الطبراني في الكبير برقم : 11066 و قد صححه الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح : 96/1.

1. اعتبار التخصيص نسخا .

2. اعتبار البيان نسخا .

3. اعتبار ما شرع لسبب ، ثم زال السبب من المنسوخ كالحث على الصبر ، و تحمل أذى الكفار في مبدأ الدعوة حين الضعف و القلة ، قالوا : إنه منسوخ بآيات القتال .

و الحقيقة أن الأول و هو وجوب الصبر و التحمل كان و يكون لحالة الضعف و القلة ، و إذا وجدت الكثرة و القوة ، وجب الدفاع عن العقيدة بالقتال ، و هو الحكم الثاني .

4. اعتبار ما أبطله الإسلام من أمر الجاهلية ، أمر شرائع الأمم السابقة نسخا ، لتحديد عدد الزوجات بأربع ، و مشروعية القصاص و الدية ، و قد كان عند بني اسرائيل القصاص فقط كما قال ابن عباس و مثل هذا ليس نسخا ، و إنما هو رفع للبراءة الأصلية¹ .

اما الآيات المنسوخة فقد ذكرها السيوطي ، و ذهب إلى أنها واحد و عشرون آية² .

ثامنا : الحكمة من النسخ

1. مراعاة مصالح العباد .

2. تطور التشريع إلى مرتبة الكمال ، حسب تطور الدعوة ، و تطور حال الناس .

3. ابتلاء المكلف و اختباره بالامتثال و عدمه .

4. إرادة الخير للأمة ، و التيسير عليها ، لأن النسخ إذا كان إلى أشق ففيه زيادة الثواب ، و

إن كان إلى أخف ففيه سهولة و يسر³ .

5. كما في النسخ إظهار نعمة الله عزوجل بما يرفع به من الحرج و الضيق بنوع سابق من

أنواع التكليف ، كما في عدّة المتوفى عنها زوجها .

¹ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 242 .

² الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، 23/1 .

³ ينظر : مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 240 .

6. كما يقع في النسخ تطيب نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم و نفوس أصحابه بتميز هذه الأمة على الأمم و إظهار فضلها .

المحاضرة الحادية عشرة :

علم المناسبات

تمهيد

أولا : تعريف علم المناسبات

أ. في اللغة .

ب. في الاصطلاح

ثانيا : تاريخ علم المناسبات و أقوال العلماء فيه

ثالثا : شروط البحث في علم المناسبات

رابعا : ظهور علم المناسبات و أهم المؤلفات فيه

خامسا : أقسام المناسبات

تمهيد:

علم المناسبات وثيق الصلة بالتفسير، وذلك لأننا نلاحظ أن الآية أو مجموع الآيات تنزل في أسباب مختلفة وحوادث متفرقة ثم توضع في سورة واحدة، وقد تكون بين الآيات التي وضعت عقبها فترة زمنية قصيرة لا تتعدى الأيام، وقد تكون فترة طويلة تتجاوز عدة سنوات.

قال الشيخ عبد الله دراز: "...إن كانت بعد تنزيلها جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع كمثل بنيان كان قائما على قواعده.

فلما أريد نقله بصورته الى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته ثم فرق أنقاضا فلم تلبث كل لبنة من أن عرفت مكانها المرموق، وإذا البنيان قد عاد مرصوصا يشد بعضه بعضا كهيئة أول مرة".¹

أولا: تعريف علم المناسبات

أ. في اللغة: المقاربة والمشاكلية، تقول: فلان يناسب فلانا أي يقرب منه، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل²، بمعنى أن بينهما قرابة أي رابطة.

ب. في الاصطلاح: قال الزركشي: "والمناسبة: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم".³

ثانيا: تاريخ علم المناسبات وأقوال العلماء فيه.

علم المناسبات بين سور القرآن الكريم أو بين الآيات في السورة الواحدة من العلوم الدقيقة التي تحتاج الى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظم القرآن وبيانه المعجز، وإلى معايشة جو التنزيل، وكثيرا ما تأتي الى ذهن المفسر على شاكلة اشراقات فكرية أو روحية.

¹النبا العظيم، عبد الله دراز، ص: 154-155.

² القاموس المحيط، الفيروزي آبادي، ص 140.

³ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 1-36.

وقد اعتبر بعض المفسرين ان نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو.¹

قال برهان الدين البقاعي (ت: 885هـ): "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقتين:

أحدهما: نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب.

والثانية: نظمها مع أختها بالنظر الى الترتيب، والأول أقرب تناولا وأسهل ذوقا، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز".²

يقول الرازي فخر الدين (ت: 606هـ): "علم المناسبات علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول".³

ولقد أنكر وجود المناسبة بين الآيات والسور طائفة من العلماء، منهم سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ)، ولقد نقل قوله السيوطي: "إن ربط آيات القرآن على ترتيب نزوله تكلف لا يليق، إذ أنه يشترط في حسن الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف، بما لا يقدر عليه الا بربط ركيك، يسان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض"⁴

كما نقل عن الإمام ابي حيان الأندلسي (ت: 745هـ) صاحب البحر المحيط كلاما شبيها بكلام العز بن عبد السلام (ت: 660هـ) وقد ذكر الشوكاني (ت: 1250 هـ) في تفسيره "فتح القدير" حجج المنكرين لهذا اللون من الربط بين الآيات.

¹نظم الدروفي تتاسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، 5/1

². المرجع نفسه، 11/1-12.

³البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 35/1.

⁴الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 138/2.

ثالثاً: شروط البحث في علم المناسبات

اشترط القائلون بالمناسبة بين الآيات والسور شروطاً أهمها:

1. بذل الجهد في التتبع والاستقصاء اللغوي لدلالات الألفاظ القرآنية.
2. الإحاطة بأسباب النزول.
3. التوسع في علم البلاغة والأساليب البيانية.
4. أن يكون الباحث ذا حس مرهف ونفس شفافة وذكاء لمام ليذكر سر هذا الترتيب للآيات التي وضعت بجوار بعضها.
5. توفر شروط المفسر المعروفة العادية وهي العلمية والعقلية والدينية والخلقية.

رابعاً: ظهور علم المناسبات وأهم المؤلفات فيه

يعتبر الإمام أبو بكر النيسابوري (ت: 324هـ) أول من أظهر علم المناسبات في بغداد، حيث كان يقول: "لما جعلت هذه الآية الى جنب هذه، وما الحكمة في جعل هذه الى جنب هذه السورة".¹

ثم جاء بعد ذلك الإمام أبو بكر بن العربي (ت: 543هـ) ضمن كتابه "أحكام القرآن" ثم فخر الدين الرازي (ت: 606هـ) في تفسيره "مفاتيح الغيب" وقد أفرده بالتصنيف ابو جعفر أحمد بن الزبير الأندلسي (ت: 807هـ) في كتابه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، الذي اهتم فيه فقط على المناسبة بين السور القرآنية دون التطرق الى المناسبة بين الآيات الكريمة.

وقد خصص الزركشي (ت: 794هـ) في كتابه: الرهان في علوم القرآن، فصلاً خاصاً (النوع الثاني) تحت عنوان: معرفة المناسبات بين الآيات، ثم جاء بعد ذلك برهان الدين البقاعي (ت: 885هـ) بكتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، حيث ذكر المناسبات بين آيات القرآن، الكريم سورة سورة.

وَأَلَّفَ الإمام السيوطي (ت: 911هـ) كتاباً خاصاً سماه: "تناسق الدرر في تناسب السور"، ذكر فيه أغلب ما ذكره الزركشي في البرهان وزاد عليه.

¹مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، سورية، ط7، 1430هـ/2009، ص466.

ومن المعاصرين ألف عبد الله بن محمد الصديق الغماري، كتابا سما " جواهر البيان في تناسب سور القرآن"، ذكر فيه وجه المناسبة بين سور القرآن سورة سورة . كما تحدث محمد عبد الله دراز في كتابه : " النبأ العظيم " عن المناسبات بين آيات سورة البقرة .

ومنه يمكننا تقسيم علم المناسبات الى قسمين: المناسبة بين الآيات والمناسبة بين السور أي ايجاد الرابطة بين السور والتي تليها في الترتيب وكذا وجود رابطة بين الآية والتي تليها.

خامسا: أقسام المناسبات

القسم الأول: المناسبة بين الآيات

قال الإمام فخر الدين الرازي (ت:606هـ) في سورة البقرة" من تأمل لطائف هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته".¹

والمناسبة هي الارتباط بين الآية والتي تليها إما أن تكون ظاهرة وذلك عندما يتعلق الكلام بعبءه ببعض وعدم تمامه بالأولى وكذلك إذا كانت الآية الثانية مفسرة للأولى.

وقد تكون المناسبة بين الآية والتي تليها غير ظاهرة بل تظهر كل آية مستقلة عن الأخرى.

القسم الثاني: المناسبة بين السور

ويراد بها الرابطة بين السورة والسورة التي سبقتها في الترتيب، والمناسبات بين السور على أربعة أنواع:

النوع الأول: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة سابقتها.

النوع الثاني: المناسبة بين السورة والسورة وسابقتها من حيث الموضوع.

النوع الثالث: المناسبة بين فاتحة السورة ومحتواها.

¹الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 322/3.

النوع الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

المحاضرة الثانية عشرة :

تمهيد:

عن ابي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم، " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"¹

وهذه الخصوصية جعلت القرآن أعظم الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته، والحجة الباقية على الناس الى ان تقوم الساعة.

وأما كان القرآن العظيم أخص معجزات سيد الأولين والآخرين لأسباب ثلاثة:

أحدهما: أن معجزة كل نبي توافق الأغلب من أحوال عصره والشائع المنتشر في ناس دهره، لأن موسى عليه السلام لما بعث في عصره السحر خص من فلق البحر، وقلب العصا حية ما بهر كل ساحر وأذل كل كافر.

وبعث عيسى عليه السلام في عصر الطب، فخص من إبراء الزمني واحياء الموتى بما أدهش كل طبيب، وأذل كل لبيب.

ولما بعث محمد صلى الله عليه وسلم في عصر الفصاحة والبلاغة خص بالقرآن في ايجازه واعجازه، بما عجز الفصحاء و أذعن له البلغاء ، و تبدل فيه الشعراء ، ليكون العجز عنه أشهر، والتقصير فيه أظهر، فصارت معجزاتهم وإن اختلفت متشاكلة المعنى متفقد العلل.

والثاني: أن العجز في كل قوم بحسب أفهامهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم وكان في بني اسرائيل من قوم موسى وعيسى بلادة من معنى مبتكر، وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون على اصناف لهم: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، فخصوا من الإعجاز بما يصلون اليه ببداية حواسهم، والعرب أصح الناس أفها ما وأحدهم أذهانا، قدابتكروا من الفصاحة ابلغها، ومن المعاني أعذبها، ومن الآداب أحسنها فخصوا من معجزة القرآن بما تجول فيه أفهامهم وتصل اليه اذهانهم، لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها ويوافق فهمها.

¹أخرجه البخاري برقم: 4696، 6846، ومسلم برقم: 152.

والثالث: أن معجزة القرآن ابقى على الاعصار وانشر في الاقطار من معجزة يختص بحاضره، أو يندرس بانقراض عصره، ومادام اعجازه فهو أصح وبالاختصاص أحق.

ولقد أيد نبينا صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة فاقت جميع الأنبياء ولكن أعظم المعجزات هي معجزة القرآن.

أولاً: تعريف اعجاز القرآن

أ. اللغة: مادة العجز تعود الى معنيين هما: عدم القدرة التأخر.

ب. الاصطلاح: اعجاز القرآن مركب اضافي معناه اثبات القرآن عجز الخلق على الاتيان بما تحداهم به.¹

ج. تعريف المعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة.

ومن شروطها:

1. أن تكون مما لا يقدر عليه الا الله رب العالمين.

2. أن تخرق العادة وتكون مخالفة للسنن الكونية.

3. أن تقع على وفق دعوى النبي المتحدي بتلك المعجزة.

4. ان لا يأتي أحد بمثل تلك المعجزة.

وهناك فرق كبير بين المعجزة والكرامة والسحر، لأن الكرامة لا يدعى صاحبها النبوة بل لا يتحدى بها الناس وإنما تظهر على يده لصدقه في اتباع النبي وليس صاحب الكرامة بمعصوم، وقدقال بعض المحققين أن الكرامات التي تقع للأولياء هي من جملة معجزات الأنبياء لأن هؤلاء الابرار ما كانت لتقع لهم تلك الخوارق لولا اعتصامهم بالاتباع الحق للنبي و قيامهم بدعوته وهذا يبين لنا أن شرط الكرامة للولي صدق اتباع للنبي صلى الله عليه وسلم.

أما السحر فهو أبعد شيء عن المعجزة والكرامة وإن كان يقع فيه غرائب لكنه يفترق عن المعجزة والكرامة لما في السحر من طاعة للشيطان والتقرب إلى الجن بالكفر والفسوق والبدعة.

¹مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، 459/2.

ثانيا: ثبوت إعجاز القرآن

تحدى الله أرباب الفصاحة والبيان، بل جميع بني الانسان، بل حتى ولو ظاهرهم عليه الجان ولم يزل يتحدى أن يأتيوا بمثل هذا القرآن أو بمثل بعضه فما فعلوا ، و لن يفعلوا.

كما قال الله تعالى: " (قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [الاسراء:88]

وقال سبحانه: (أم يقولون افتراه قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ) [هود:13-14] وقال سبحانه: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [البقرة:23-24].

تحداهم الله بأن يأتيوا بأقصر سورة من مثله، على مثاله في النظم والتأليف والإحكام وفي المعاني والدلالات والأحكام، فعجزوا عن معارضته في كل ذلك وعن مماثلته بعباراتهم أو مجاراتهم لبيانهم، او مسابقتهم بقوانينهم وشرائعهم.

ذلك لأنه كلام رب العالمين تبارك وتعالى وكلامه سبحانه من صفاته، وهو الذي لا مثل له في ذاته ولا صفاته، كما قال سبحانه: (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:11] ، فكما لا مثل له في سمعه، ولا مثل له في بصره ولا مثل له في سائر صفاته، وكذلك لا مثل له في كلامه.

ثالثا: أنواع الاعجاز في القرآن

من الصعب تحديد وجوه الاعجاز في القرآن العظيم، فكل شيء منه لا نظير له، فهو باهر في ألفاظه وأسلوبه، في تأليفه ونظمه في بيانه وبلاغته، في تشريعه وحكمه التي حيرت الألباب في

أنبائه وأخباره، في تاريخه وحفظه، في علومه التي لا تنقطع ولا تقف عند غاية وسأنبه هنا على ثلاثة أنواع للإعجاز القرآني:

النوع الأول: الإعجاز اللغوي

هذا النوع هو أبرز ما تحدى به القرآن العرب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهو التحدي في أبرز خصائصهم، فمع أنه بلسانهم وأتى بما لا يخرج عن وجوه فصاحتهم وأساليب بيانهم وهم يومئذ في الذروة في ذلك نشرا ونظما لكنهم عجزوا عن معارضته ولو بسورة من مثله ، فصاروا يتخبطون فتارة يقولون: هو شعر وتارة يقولون : قول كاهن، وتارة أساطير الأولين، لا يثبتون على شيء، لأنهم يعلمون أنه ليس كما يقولون وما كان لهم ليغفلوا عن صفة الشعر ولا صيغة النثر، وهم أهل ذلك وعباقرته، وإنما شأنهم شأن من قال الله فيهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:13-14]

وهكذا قال أولئك المشركون عن القرآن: ﴿ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف:7] ، وقالوا: ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (4) وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴿ [الفرقان:4-5] وقالوا: ﴿ أَضْعَافُ أُحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء:5]

ويبقى القرآن يتحدى ولا يرجع الكفار جوابا: ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ الْكُفْرَ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِالْحَقِّ وَأَنَّ لَهُ الْإِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [هود:14] وأنى لهم الجواب، وهو اعلم بهم: ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ [البقرة:24] .

قال الأديب الرافعي: " فقطع أنهم لن يفعلوا وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من الله، ولا يقولها عربي في العرب أبدا، وقد سمعوها واستقرت فيهم ودارت على الألسنة، وعرفوا أنها تنفي عنهم الدهر نفيا، وتعجزهم آخر الأبد، فما فعلوا ولا طمعوا ان يفعلوا، وطارت الآية بعجزهم وأسجلته عليه ووسمتهم على السنتهم، فلما رأوا همهم لا تسموا الى ذلك، ولا تقارب المطمعة فيه، وقد انقطعت بهم كل سبيل الى المعارضة، بذلوا له السيف، وانصرفوا عن توهن حجته إلى تهوينها عن أنفسهم بكلام من الكلام ، فقالوا : ساحر ، شاعر ، و مجنون ، و رجل يتكذب أساطير الأولين ، وإنما

يَعْلَمُهُ بَشَرًا، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا أَخَذَتْ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ، وَكَاتَ لِإِقْرَارِ مَنْهُمْ بِالْعَجْزِ، إِجْنَحُوا فِيهِ إِلَى سِيَاسَةِ الطَّبَاعِ وَالْعَادَاتِ"¹.

ثم إن هذا القرآن قد اشتمل من القاموس العربي على أحسن الكلمات وأفصحها ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 23] أما في تركيب جملة، وتناسق عباراته ومقاطع آياته، فهو الفرد الذي لا نظير له.

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: 3] وأهل التفسير قديما وحديثا يراعون هذه الخصوصية للقرآن، فلم يتكلم أحد في تفسير هذا الكتاب، وبيان دلائله ومعانيه من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإلا اليوم الا وهو يراعي الجوانب البلاغية فيه، وأسرار ذلك لا تنتهي، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]

النوع الثاني: الإعجاز الاخباري

وهذا هو الاعجاز فيما تضمنه القرآن من الأنباء هو ، و هو أربعة أشياء :

أولهما: الإخبار عن الغيب المطلق، كالخبر عن الله عز وجل وأسمائه وصفاته والملائكة وصفة الجنة وصفة النار.

وقد أتى القرآن في هذا الأمر بما لا يدركه بشر من تلقاء نفسه، اذ طريقه لا يكون من جهة العقول إنما طريقه السمع الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42].

وثانيهما: الإخبار عن الأمور السابقة، كالخبر عن بدء الخلق، وعن الأمم السابقة.

وقد قص علينا القرآن من ذلك عجا وأتى من الأنبياء، بما لم يملك المنصفون من أهل الكتاب والعلم إلا تصديقه، كما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: 114].

¹اعجاز القرآن، مصطفى صادق الرفاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص: 170.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف:10] ، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ لَنَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196) أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) ﴾ [الشعراء:192-197] .

فجاء ما أتاه الله من ذلك تصديقا لما بين يديه، وما تعلم من أحد من إنس ولا جن، ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: 48] .

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى:52]

[

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف:2-3]

فقص الله سبحانه قصة نوح، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۗ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ [هود:49]

وفصل قصة يوسف، ثم قال: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۗ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف:102]

وقص طرفا من نبأ موسى، ثم قال: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (45) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ [القصص:44-46]

﴿ وقال بعد ذكر قصة مريم: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۗ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلُونَ أَفْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران:44]

وما اعظمها من منة يمتن الله عز وجل بها على نبيه صلى الله عليه وسلم ! وما أعظمها من معجزة خرقت جميع قوانين الخلق في التعلم والتلقي ! يبلغ صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره وهو بين قومه، يعرفونه بالأمية، لا يقرأ ولا يكتب، ولم يعرفوه بمجالسة معلم، ثم يظهر للناس بما لا طاقة لهم بمثله.

وحين افتروا فقالوا: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ قال الله عز وجل: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل:103]

ويستمر التحدي، فيجعل الله من الواقع المشاهد دليلا على صدق ما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (44) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَنِيَّ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنُوكَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)﴾ . [الحج:42-46]

وثالثها: الإخبار عما يكون في مستقبل الزمان، كالإخبار عن الشيء قبل وقوعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أو عما سيكون بعد ذلك.

كما في قوله عز وجل: ﴿الْم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سَنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)﴾ . [الروم:1-5] .

وقد صحت الرواية بتحقيق ما أخبرت به هذه الآيات عن غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك حديث نيار بن مكرم الأسلمي، قال:

لما نزلت ﴿الْم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سَنِينَ﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم، لأنهم وآياهم أهل كتاب، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بَنَصْرِ اللَّهِ

يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) ﴿﴾ ، فكانت قريش تحب ظهور فارس، لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية، خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة: ﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بَضْعِ سَنِينَ﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم سيغلب فارسا في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر، كما تجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي اليه، قال: فسموا ست بينهم سنين، قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين، لأن الله تعالى قال: ﴿ فِي بَضْعِ سَنِينَ ﴾ ، قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير.¹

كذلك ما تضمنه القرآن من الإخبار عن أشراط الساعة، والبعث بعد الموت، والحشر والحساب، والمصير الى الجنة او الى النار، بما لا سبيل للبشر الى معرفته الا بوحي الله عز وجل، جميعه برهان على أن القرآن كلام الله.

ورابعها: الإخبار عما تكته النفوس وتخفيه الضمائر، مما لا يمكن أن يعلمه إلا الله، ولا يصل إلى علم النبي صلى الله عليه وسلم إلا بوحي الله.

كالذي تراه في سورة التوبة من ذكر أسرار المنافقين، حتى خاف الناس أن ينزل القرآن بأسمائهم يظهر حقائق ما في نفوسهم.

كما قال سعيد بن جبیر: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التوبة؟ قال: بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ﴿ وَ مِنْهُمْ ﴾ ، ﴿ وَ مِنْهُمْ ﴾ ، حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها.²

النوع الثالث: الإعجاز التشريعي

¹ حديث حسن، أخرجه الترميذي (رقم 3194) والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (442/7-443) عن طريق عبد الرحمان بن أبي الزناد، عن اب الزناد، عن عروة بن الزبير، عن نيار، و قال الترميذي " حديث حسن صحيح "

² حديث صحيح. متفق عليه، أخرجه البخاري (رقم 4600) ومسلم (رقم: 3031).

ويمكن فيما أودع الله في كتابه من القوانين التي تشهد في استقامتها وعدلها وصلاحها لكل زمان أنها من عند الله، وأن لا طاقة للخلق ان يوجدوا لها نظيرا، مهما بلغت العقول.

ذلك أن التشريع مبني على تحقيق مصالح العباد في الدارين، ولا يحيط بتلك المصالح أحد من خلق الله، لقصور العلم، والنقص بالطبع، لكن الله سبحانه هو الخالق، فهو أعلم بخلقه وحاجتهم وما يكون به صلاحهم وفسادهم، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:14] .

فلذا جاء تشريعه موصوفا بالحسن المطلق وبالحق المطلق، كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:50] ، وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:33] ، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى:17] وقال عز وجل: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة:119] ، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأنعام:66] ، وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:105] ، وقال عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:48] .

ولو كان من عند غير الله لما صحَّ في العقول أن يكون هو الحق المطلق، او يكون أحسن قانون وتشريع، مهما رجحت عقول مقتنية، فإنه ما من قو إلا ولهم من الشرائع والقوانين ما يسرون به شؤون حياتهم، لكنهم لا يفتأون يغيرون ويصلحون، ولو وصفوا قانونهم بالحق المطلق لتعذر عليهم تبديله و الاستدراك عليه ، و إنما هذه أوصاف لا تكون إلا لما هو خارج عن قدرات المخلوقين .

قال سبحانه : ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود : 1] ، و قال أيضا : ﴿وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصّلت :41-42]

يضيف بعض المعصرين نوعا رابعا يطلقون عليه " الإعجاز العلمي " ، و هذا النوع محل نظر و بحث و اختلاف ، بسبب توسّع البعض فيه بلاضوابط و قيود حتّى جرج عن مقصد القرآن

الاساس بهو المقصد الهدائي ، فقد حوّل بعضهم القرآن الكريم كتاب علوم كالطّب ، و الفلك ، و البحار و غيرها ، و نازع البعض في تسمية هذا النوع " بالإعجاز العلمي " ، و رأى أن يسمى " بالتفسير العلمي " تجنباً للإشكاليات العلمية و المعرفية التي صاحبت مصطلح " الإعجاز العلمي " .

و المتدبر في كتاب الله عزّ و جل يجد أنّه احتوى على كثير من الحقائق العلمية و دعانا إلى إعمال النظر و الفكر في آيات الله في الإنسان و الكون من أجل الاكتشاف و المعرفة

و لذا وجب التّبيه على ضرورة التّفريق بين النظريات العلمية المتغيّرة و الحقائق العلمية الثابتة في القرآن الكريم التي يستحيل على النبي صلى الله عليه و سلم معرفتها أو الاخبار عنها وقت تنزّل الوحي لأنّ الإنسانية لم تكتشفها آنذاك .

و من امثلة ذلك :

- قوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الأفاق ... ﴾ [فصلت : 53] .
 - قوله تعالى : ﴿ إنّ في خلق السموات و الأرض ... ﴾ [البقرة : 164] .
 - قوله تعالى : ﴿ و من آياته خلق السموات و الأرض ... ﴾ [الروم : 22] .
 - قوله تعالى : ﴿ أولم ير الذين كفروا أنّ السموات و الأرض ... ﴾ [الأنبياء : 30] .
 - قوله تعالى : ﴿ و الأرض بعد ذلك دحاها... ﴾ [التّازعات : 30] .
 - قوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ... ﴾ [الأنعام : 125] .
 - قوله تعالى : ﴿ و أرسلنا الرّياح لواقح فأنزلنا ... ﴾ [الزمر : 6] .
 - قوله تعالى : ﴿ و الله أخرجكم من بطون أمّهاتكم ... ﴾ [النحل : 78] .
- فالمتملّ في هذه الآيات يقف على جملة من الحقائق العلمية منها :

- الماء عنصر الحياة ، بدء الكون .
- الإشارة إلى قانون الجاذبية .
- الرّياح التي تحمل اللقاح .
- أطوار خلق الجنين .
- مصادر التّلعّم لدى الإنسان .
- فهذه بعض الحقائق للتمثيل لا للحصر .

المحاضرة الثالثة عشرة :

المحكم والمتشابه

أولاً: التعريف اللغوي

أ. الإحكام

ب. التشابه

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

ثالثاً: خلاف العلماء في تعيين المحكم والمتشابه

أولا : التعريف اللغوي

أ. الإحكام بكسر الهمزة لغة: الإتقان، والإجادة والمنع ووضع الشيء في موضعه، فيقولون: أحكم الأمر، أي: أتقنه وأجاده ومنعه من الفساد والمشابهة.
ب. و التشابه لغة: المشاركة والمشكلة المؤدية الى الالتباس غالبا، فيقولون ، تشابها واشتبها، أي: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا.

ولقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن القرآن كله محكم في وضعه لفظا و معنى بعيدا كل البعد عن أي خلل أو فساد أو ما الى ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [هود:1] .

وقال تعالى: وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

﴿ [فصلت:41-42] .

كما جاء فيه ما يدل على أن القرآن كله متشابه، يشبه بعضه بعضا في الصدق، والتحدي، وسمو المعنى، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: 23] و التشابه بهذا المعنى لا يقابله المحكم، ولا يتناقض معه.

وجاء فيه أيضا ما يدل على أن القرآن بعضه محكم، وبعضه متشابه.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7] . و ليس ثمة تعارض بين تعدد الآراء المذكورة لأن معنى إحكام كله أنه متقن لا يعتريه خلل ولا فساد، ولا يواتيه ريب ولا يداخله شك، لافي لفظه ولا في معناه.

ومعنى كونه كله متشابه أي: يشبه بعضه بعضا في إحكامه، وبلاغته وفصاحته، وبلوغه حد الإعجاز في ألفاظه و معانيه ومعنى أن بعضه محكم وبعضه متشابه فمعناه أن القرآن الكريم منه ما اتضحت دلالاته على مراد الله تعالى، ومنه ما خفيت دلالاته.

فالأول هو المحكم والثاني هو المتشابه.

ثانيا: المعنى الاصطلاحي

يطلق المحكم في لسان الشرعيين على ما يقابل المنسوخ تارة، وعلى ما يقابل المتشابه تارة أخرى.

فيراد به بمعنى الاصطلاح الاول الحكم الشرعي الذي لم يتطرق إليه نسخ.

ويراد به على الثاني ماورد من نصوص الكتاب والسنة دالا على معناه بوضوح لاخفاء فيه.¹

ثالثا: خلاف العلماء في تعيين المحكم والمتشابه

قال السيوطي: " وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على أقوال:

1. فقيل: المحكم ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل والمتشابه ما استأثر الله بعلمه:

كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور.

¹البيان المبين في علوم كتاب الله رب العالمين، محمود عبد الحليم الرفاعي مجمع البحوث الاسلامية، الأزهر، ص: 113-114.

2. وقيل المحكم ما لا يحتتمل من التأويل الا وجهها واحدا، والمتشابه ما احتتمل أوجهها.
3. وقيل: المحكم ما وضع معناه، والمتشابه نقيضه.
4. وقيل المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه، كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان، قاله المارودي.
5. وقيل المحكم ما استقل بنفسه، والمتشابه ما لا يستقل الا برده الى غيره.
6. وقيل المحكم ما تأويله تنزيله، والمتشابه ما لا يدرك إلا بالتأويل.
7. وقيل: المحكم ما لم تكرر ألفاظه ومقابله المتشابه.
8. وقيل: المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المحكمات: ناسخة، وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به.

والمتشابهات: منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله، وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به".¹

رابعاً: أنواع المتشابهات

بعد التأمل فيما سبق من الأقوال في كل من الحكم والمتشابه نعلم أن منشأ التشابه اجمالاً هو خفاء مراد الشارع من كلام القرآن، سواء أكان الخفاء في اللفظ، أو في المعنى أو فيهما معا وبناءاً عليه فالأنواع ثلاثة :

النوع الأول: ما لا يستطيع البشر جميعاً أن يصلوا اليه: كالعلم بذات الله تعالى، أو صفة من صفاته، وكالعلم بوقت القيامة ونحوه من الغيوب التي استقل علم الله تعالى بها، قال سبحانه: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: 59] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: 34

.]

¹ ينظر: الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 2/2.

النوع الثاني: ما يستطيع كل انسان ان يعرفه عن طريق البحث والدرس المتشابهات التي نشأ التشابه فيها.

النوع الثالث: ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم.

قال الراغب الاصفهاني (ت: 502هـ): "المتشابه ثلاثة أضرِب:

1. ضرب لا سبيل الى الوقوف عليه كوقت الساعة.
2. ضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ العربية وغيرها.
3. ضرب تردد بين الأمرين، يخص به بعض الراسخين في العلم، ويخفي على من دونهم، وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه لتأويل"¹

خامسا: الحكمة من المتشابه

للمتشابه حكم كثيرة ولكل نوع من الأنواع الثلاثة حكم يمكن الوقوف عليها عند تأمل كل نوع من أنواع المتشابه.

وأعظم حكمة هي الإيمان بقدرة الله سبحانه، وبأنه عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه أحاط كل شيء علما، وأن في التشابه اعترافا بعجز الانسان عن ادراك مراد الله تعالى، وأنه مهما أوتي من العلم والمعرفة و البلاغة ،فلن يصل إلى مراد الله تعالى.

قال سبحانه: ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ وَالجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88].²

¹ ينظر: المفردات في غريب القرآن، ابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2008/1428 م، ص: 264

² ينظر البيان المبين في علوم كتاب رب العالمين، محمود عبد الحليم الرفاعي، ص: 116-117.

المحاضرة الرابعة عشرة

- مدخل إلى التفسير
- التفسير اللغوي
- التفسير البياني والأدبي
- القصة القرآنية

التفسير

أولاً: معنى التفسير

أ. اللغة

ب. الاصطلاح

ت. التأويل

ثانياً: الفرق بين التفسير والتأويل

ثالثاً: نشأة التفسير وتطوره

1. مرحلة الرواية في عصر الصحابة والتابعين

2. مرحلة التدوين

رابعاً: مدارس التفسير

خامساً: أساليب المفسرين

1. التفسير التحليلي

2. التفسير الاجمالي

3. التفسير المقارن

4. التفسير الموضوعي

سادساً: ثمرات علم التفسير

أولاً: معنى التفسير

أ. اللغة: التفسير في اللغة راجع الى معنى الاظهار، والكشف، وأصله في اللغة من التفسير، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المرض، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية، و قصصها ومعناها والسبب الذي أنزلت فيه.

فالتفسير كشف المغلق عن المراد بلفظة واطلاق المحتبس عن الفهم به.

وقال آخرون: " هو مقلوب من "سفر" ومعناه أيضا الكشف، يقال: "سفرت المرأة سفورا" إذا ألفت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح: أضاء وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان:33].¹

¹ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 147/2.

ب. الاصطلاح: التفسير علم يبحث عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية.¹

وقيل: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها ظن ثم ترتيب مكيتها و مدینها ، و محكمها و متشابهها ، و ناسخها و منسوخها وخاصها و عامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.

وزاد فيه يوم فقالوا: علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها وهذا الذي منع فيه القول بالرأي.²

ت. التأويل : فأصله من اللغة من الأول، ومعنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام؟ أي " إلام تؤول العاقبة في المراد به كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ [الأعراف:53] أي: تكشف عاقبته، ويقال: آل الأمر إلى كذا، أي: صار إليه، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف:82] وأصله من المال، وهو العاقبة والمصير، وقد أولته قال: أي: صرفته فانصرف، فكان التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.³

ثانيا : الفرق بين التفسير و التأويل :

ذهب طائفة من العلماء بأن التفسير والتأويل هما بمعنى واحد، فهما مترادفان، وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

وقال الراغب الأصفهاني (ت: 502 هـ): " التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني"⁴

والذي تميل إليه النفس في هذا المعنى و أن التفسير ماكان راجعا الى الرواية، والتأويل تميل اليه النفس في هذا المعنى هو أن التفسير ماكان راجعا الى الرواية، والتأويل ماكان راجعا الى

¹ مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، 4/2

² البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 148/2.

³ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 148/2.

⁴ الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، 221/2.

الدراية، وذلك لأن التفسير ومعناه الكشف والبيان والكشف عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي، وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، وخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

وأما التأويل في عرف المتأخرين هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح، لدليل يقترن به.¹

ثالثاً: نشأة التفسير وتطوره

نشأ التفسير مع نزول القرآن وكان أول من تولى هو رب العزة نفسه ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ [القيامة:53] فقد كانت بعض الآيات تنزل وفيها نوع من الإجمال فتتزل آيات أخرى تتولى بيانها وتفصيلها.

ثم إنه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ببيان وأنزل إليه من القرآن فقال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:44] ، فقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بمهمته في بيان معاني القرآن فبين مشكله ومجمله وخصص عامه وقيد مطلقه وشرح بعض ما يحتاج إليه الصحابة من ألفاظه.

وقد مر تفسير القرآن الكريم بمراحل يمكن حصرها في:²

1. مرحلة الرواية في عصر الصحابة والتابعين:

وقد نشأت في هذا العصر مدارس للتفسير في مراكز اسلامية ثلاث:

أ. مدرسة التفسير بمكة وقد قامت على عبد الله بن عباس (ت:68هـ) رضي الله عنهما ومن أهم أعلامها: سعيد بن جبير (ت:95هـ) مجاهدين جبر المكي (ت:104) عكرمة مولى ابن عباس (ت:104هـ) طاووس بن كيسان اليماني (ت:106هـ)، عطاء بن أبي رباح (ت:114هـ)

¹البيان المبين في علوم كتاب رب العالمين، محمود الرفاعي، ص:123-124.

²ينظر في نشأة التفسير وتطور الى مكتبة الذهبي، التفسير والمفسرون، 1/140-142.

ب. مدرسة التفسير بالمدينة وقامت على أبي بن كعب (ت: 22هـ) وأهم أعلامها: أبو العالية الرياحي (ت: 90هـ)، محمد بن كعب القرظي (ت: 118هـ)، زيد بن أسلم (ت: 136هـ)
ت. مدرسة التفسير بالعراق وقامت على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأهم أعلام هذه المدرسة: علقمة بن قيس (ت: 61هـ) مسروق بن الأجدع (ت: 63هـ)، الأسود بن يزيد أبو عبد الرحمن النخعي (ت: 75هـ)، مرة العمداني (ت: 76هـ) عامر بن شراحيل الشعبي (ت: 109هـ) الحسن البصري (ت: 110هـ) قتادة بن دعامة السدوسي (ت: 117هـ).

2. مرحلة التدوين: ويمكن تقسيم هذه المرحلة حسب تطورها الى أربع خطوات:

أ. الخطوة الأولى: التدوين الغير مستقل، وذلك عندما ابتداء تدوين الحديث الشريف فكان التفسير يدون كباب من أبواب الحديث، ولم يفرد العلماء في هذه الخطوة بالتأليف ولم يستوعب جميع آيات القرآن ومن أهم من دون التفسير في هذه المرحلة بهذه الصفة: يزيد بن هارون السامي (ت: 117هـ)، شعبة بن الحجاج (ت: 160هـ)، وكيع بن الجراح (ت: 197هـ)، سفيان بن عينة (ت: 198هـ).

ب. الخطوة الثانية: التدوين المستقل للتفسير: استقل التفسير عن الحديث فدون كفن قائم بذاته وكان التفسير في هذه الخطوة مستوعبا لجميع آيات القرآن مرتبا حسب المصحف الشريف وقد تم ذلك على أيدي جملة من العلماء أشهرهم: ابن ماجة القزويني (ت: 273هـ)، محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، أبو بكر النيسابوري (ت: 318هـ)، ابن أبي حاتم (ت: 327هـ).

ت. الخطوة الثالثة: ظل التفسير في هذه المرحلة كما هو يدور في فلك المأثور عن السلف فقط ولكن خطأ خطوة أخرى حيث جعل المؤلفون في التفسير يحذفون الأسانيد للاختصار فدخل الوضع في التفسير واختلط الصحيح بالباطل.

ث. الخطوة الرابعة : التوسع في التفسير بالرأي :

كان التفسير بالرأي موجودا حتى في عهد السلف بين الصحابة والتابعين وكانت بعض الكتب المدونة في التفسير بالمأثور لا تخلو من الاجتهاد، كما لا يلاحظ عند الطبري في حدود ولكن في هذه المرحلة توسع متأثرا بالمعارف و العلوم المتنوعة و الآراء و المذاهب المتباينة العقائدية الفقهية حتى وجدت في كتب التفسير اشياء لاصلة لها به.

انقسم التفسير إلى مدرستين كبيرتين هما:

1. التفسير بالمأثور: وفيه يلتزم المفسر بالوارد في تفسير الآية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضي الله عنهم أو التابعين دون سوق زيادة على ذلك، إلا أن يكون شرحاً لغويًا لكلمة أو كشافاً عن أعراب جملة أو نحو ذلك
2. التفسير الرأى أو الاجتهاد: وفيه لا يقتصر المفسر على الوارد بل يتجاوز ذلك إلى استنباطاته الخاصة من دلائل الصفة أو قواعد العلوم إذا كان اللفظ قابلاً لحمل المعنى المستنبط، وقد تكون هذه المعاني المستنبطة مباحث من علوم وفنون مختلفة غير التي تدل عليها الآية من قريب وهذا اللون من التفسير يحتاج إلى ضوابط علمية وأخلاقية حتى لا ينحرف التفسير وهي مفصلة في كتب أصول التفسير .

خامساً: أساليب المفسرين

بعد أن اتسعت دائرة الاجتهاد في التفسير وكثر التأليف فيه وتنوعت مناهج العلماء وأساليبهم في كتابة التفسير، ويمكن اجمال تلكم الأساليب كما يأتي:

1. الأسلوب الأول : التفسير التحليلي

وهو الذي يلتزم فيه المفسر تسلسل النظم القرآني والسير مع سورة سورة، وآية آية، فيتناولها بالشرح والبيان، وهذا هو الأسلوب الذي سلكه أكثر المفسرين

2. الأسلوب الثاني: التفسير الإجمالي

وهو أن يقسم المفسر السورة إلى مجموعات من الآيات، يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالاً، ملتزماً إبراز مقاصدها موضحاً معانيها مظهرًا لمراسيها وأحكامها و أحكامها يجعل بعض ألفاظ الآيات رابطاً بين النص وبين تفسيره، ويكثر هذا الأسلوب في تفاسير المحدثين كتفسير المنار للشيخ رشيد رضا، وتفسير المراغي وغيرها.

3. الأسلوب الثالث: التفسير المقارن

وهو أن يعمد المفسر إلى جملة من الآيات في موضع واحد، في سورة واحدة، فيورد أقوال المفسرين السابقين ويوازن بينها ويقارن، وينقد الضعيف، ويصحح الصحيح، ومن أمثلة هذا الأسلوب: تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم

4. الأسلوب الرابع: التفسير الموضوعي

هو أن يلتزم المفسر موضوعاً قرآنياً واحداً، يجمع الآيات الواردة فيه في رسمها مجتمعة ليصل بعد ذلك إلى حكم القرآن النهائي أو مبادئه في ذلك الموضوع وقد أكثر المعاصرون من هذا الأسلوب.

سادساً: ثمرات علم التفسير

1. المعرفة بمراد الله تعالى قدر الطاقة البشرية فيما يشرع لعباده من أوامر ونواه يستقيم عليها حال الناس.

2. المعرفة بهدایات الله وتعاليمه في العقائد والعبادات والأخلاق وغير ذلك مما يحقق الحياة الطيبة في الدنيا والفوز في الآخرة.

3. المعرفة بأوجه الإعجاز في القرآن الكريم ليصل المرء بهذه المعرفة إلى قوة الإيمان بربانية القرآن وصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

4. التوصل لحسن عبادة الله إذ في الانشغال بالتفسير يجعل القلب والعقل يعيشان في رحاب كلام الله فتزكو نفسه ويتنور عقله.

5. يشمل علم التفسير على معارف شتى من علوم القرآن وعلوم العربية، وعلوم الشريعة مما يزود دارس التفسير بثقافة واسعة ومتنوعة.¹

و في ختام هذه المحاضرة أشير إلى علاقة علوم القرآن بأصول التفسير و قواعد التفسير. فأصول التفسير هي المبادئ العلمية الأولى التي يحتاجها من يريد تعلم علم التفسير و التبحر فيه ، و هي جزء من علم التفسير.

و علم التفسير جزء من علوم القرآن ، فكل معلومة من أصول التفسير هي من علوم القرآن ، و ليس كل معلومة من علوم القرآن هي من أصول التفسير ، و قد تجد كتاباً معنونة بأصول

¹ينظر: مقدمة تفسير الجلالين عبد الحي الفوطي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص:9، ومن روائع القرآن، رمضان البوطي، ص:72.

التفسير ، و فيها جملة من علوم القرآن التي لا علاقة لها بالتفسير ، و النظر في تحديد المعلومة من علوم القرآن و جعلها من أصول التفسير مرتبط بإفادتها في التفسير من عدمها ، و علوم القرآن من هذه الجهة على قسمين :

1 - علم لا تفيد المفسر معرفته و لا علاقة له بالتفسير ، كعد الآي .
2 - و علم له علاقة بالتفسير ، و يستفيد المفسر منه ، و تختلف استفادة المفسر منه بحسب نوع العلم ، فعلم الناسخ و المنسوخ مما يحتاج المفسر معرفته بتفاصيله في الآيات ، لكنه ليس بحاجة إلى معرفة توجيه جميع وجوه القراءات من الأداء و غيرها ، إنما هو بحاجة إلى توجيه ما يختلف به المعنى .

أما عن علاقة علوم القرآن بقواعد التفسير ، فتعد قواعد التفسير جزءا من أشرف و أهم العلوم القرآنية ، و النسبة بينهما هي نسبة الجزء إلى الكل .
و هذا و قد تطلق " قواعد التفسير " على جملة علوم القرآن ، و هذا إما أن يكون من باب إطلاق الجزء على الكل ، و إما لكون علوم القرآن و الكتب المصنفة في ذلك تشمل على قواعد كثيرة من قواعد التفسير منثورة في أبوابه المختلفة .

1/ التفسير اللغوي

- أ- تعريف التفسير اللغوي
- ب- التفاسير اللغوية الجامعة و أعلامها .
- ج- نقد التفسير اللغوي

2/ التفسير البياني و الأدبي

- أ- مفهوم الأدب
- ب- نقد التفسير البياني

1/ التفسير اللغوي

أ- تعريف التفسير اللغوي :

التفسير اللغوي : بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب .
أمّا الشقّ الأول من التعريف ، و هو بيان معاني القرآن : فإنّه عام يشمل كلّ مصادر البيان في التفسير : كالقرآن ، و السنّة ، و أسباب النزول و غيرها .
و أمّا الشقّ الثاني منه ، و هو بما ورد في لغة العرب : فإنّه قيّد واصف لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن

و هو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب .
و بهذا النوع من البيان يخرج ما عداه من أنواع البيان : كالبيان الكائن بأسباب النزول و قصص الآي ،
أو غيرها مما ليس طرق معرفته اللغة . كما يخرج بهذا القيد ما كان طريق بيانه بغير لغة العرب :
كالمصطلحات
الحادثة .

و المراد بما ورد في لغة العرب : الفاظها و اساليبها التي بها القرآن .
و قد أشار إلى هذا الشاطبيّ (ت 790)، فقال : « فإن قلنا إنّ القرآن نزل بلسان العرب ، و إنّّه عربيّ ، و إنّّه لا عجمة فيه
فيعني أنّه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة و أساليب معانيها ، و أنّها فيما فطرت عليه من لسانها

تُخاطب بالعامُّ يُراد به ظاهره ، و بالعامُّ يرادُّ به العامُّ في وجهه و الخاص في وجهه ، و بالعامُّ يراد به الخاص ، و ظاهر يراد

به غير ظاهر ، و ل ذلك يعرف من أوّل الكلام أو وسطه أو آخره ¹ «

و من أمثلة تفسير الألفاظ تفسير لفظ « استوى » في قوله تعالى : « ثم استوى على العرش » [يونس:3]

قال أبو عبيدة (ت:210هـ) : « مجازه : ظهر على العرش و علا عليه.

و يقال : استويت على ظهر الفرس ، و على ظهر البيت ² «

و من أمثلة تفسير الأساليب ، تفسير أبي عبيدة (ت : 210 هـ) لقوله تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل لعلم المستمع بتمامه ، فكأنه في تمام عمران:191] ، قال : « و العرب تختصر الكلام ليخففوه القول : و يقولون : ربنا ما خلقت هذا باطلا ³ «

ب- التفسير اللغوية الجامعة و أعلامها :

لم تقتصر تفاسير علماء اللغة على الاكتفاء بالمفردات أو الوقوف عند إعراب القرآن فحسب ،

بل وجد من المفسرين

اللغويين من جنح إلى مختلف علوم اللسان في التفسير.

و يعتبر كتاب " معاني القرآن " لأبي زكريا يحيى الفراء (ت : 207 هـ) أوّل كتاب مطوّل جمع

بين الاهتمام بالمفردات و تعقب الإعراب ، و شرح معاني الآيات ، و كان الفراء " لا يكتفي بذكر

ما في الآية من أحكام و تعليقات أو ما فيها من إعرابات، بل كان في الأغلب يوثق ذلك بالشواهد

، سواء كان من القرآن الكريم ، أو من الشعر العربيّ ، أو من أقوال العرب،

- أبو إسحاق الزجاج (ت : 311 هـ) فصنّف " معاني القرآن و إعرابه " و اتبع نفس المنهج

الجامع معتمدا طريقة المفسرين اللغويين من حيث تتبعه للمفردات و الإعراب.

- أبو حيان الأندلسي (ت : 754) الذي صنّف " البحر المحيط " و جمع فيه بين طريقة

الفقهاء و منهج اللغويين و أقاويل الأثريين.

ج- نقد التفسير اللغوي

من جملة التي وجهت لهذا النوع من التفسير من خلال استقراء تفاسيرهم

¹ - الموافقات ، الشاطبي ، 103/2.

² - مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر المثنى ، 273/1.

³ - المرجع نفسه ، 111/1.

1- الانتقادات اعتماداً اللغة مجردة عن غيرها من المصادر.

الثاني : أهل البدع الذين يريدون لمجرد كونها من لغة العرب . فلا يلزم من كونها صحيحة في اللغة أن تكون صحيحة في التفسير.

2- البعد عن تفسير السلف ، و عدم الأخذ به .

و قد ساعد على هذا اتساع لغة العرب ، و لا خلاف في أن تفسير القرآن بلغة العرب أصل أصيل في التفسير ، غير أن المراد أن المراد هنا أن يكون تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبيّن معناه ، من نظر إلى : المتكلم به ، و المنزّل عليه ، و المخاطب به ، و سياق الكلام¹.

2/ التفسير البياني و الأدبي :

أ- مفهوم الأدب :

الأدب في اللغة : عرّفه ابن منظور بأنه الظرف و حسن التناول².

الأدب في الاصطلاح : عرّفه طه حسين بأنه فنّ جميل يتوسل باللغة.

و عرّفه الأستاذ سيّد قطب بقوله : " التّعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية "³

فالأدب هو كلّ ما يؤثر في النفس من نثر رائع و شعر جميل فيراد به التّعبير عن مكنون النفس.

أمّا مفهوم التفسير الأدبي : هو معالجة النصوص القرآنية معالجةً تقوم أولاً و قبل كلّ شيء

على إظهار مواضع

الدقة في التعبير القرآني ثمّ بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق

أخذاً⁴.

و قد بدأت بذور هذا الاتجاه في التفسير تظهر في تفسير محمد عبده ، و محمد رشيد رضا ،

و محمد مصطفى

المراعي

¹ - في تفصيل نقد التفسير اللغوي ينظر : مساعد بن سليمان الطيار ، التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، 512/1 و ما بعدها

1- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة أدب ، 206/1 .

2 - النقد الأدبي أصوله و مناهجه ، السيّد قطب ، ص7.

3- التفسير و المفسرون ، محمد حسين الذهبي ، 523/2 .

لكنّ جهودهم في هذا الصّدّد لا تتعدى الإشارات و اللّمحات العابرة.

أمّا الولادة الحقيقة للتّفسير الأدبي الحديث ، و تبلور أصوله النظرية ، و تدشين تلك الاصول في تجارب تفسيرية

فقد تبلورت على يد الشيخ الأمين الخلوي و تلاميذه ، حيث أصّل أمين الخلوي بعض المرتكزات المنهجية لهذا الاتجاه

في بحثه الذي كتبه تعليقا على مادة (التّفسير) في (دائرة المعارف الإسلامية)

ثمّ توسّع في بيانه في بحوث اخرى ، و تمثلت تلميذته الدكتورة بنت الشاطي شيئا من هذه المرتكزات في كتابها

(التفسير البياني للقران الكريم) ، و أوردت مستخلصا في مطلع كتابها لضوابط التّفسير التي رسمها أستاذها

و استندت إليها في تفسيرها ، بما يلي :

1- الأصل في المنهج : التّناول الموضوعي لما يراد فهمه من القرآن ، و يبدأ بجمع كلّ ما في الكتاب من سور و آيات في الموضوع المدروس.

2- في فهم ما حول النّص : ترتّب الآيات فيه على حسب نزولها ، لمعرفة ظروف الزمان و المكان ، كما يستأنس بالمرويات في اسباب النزول من حيث هي قرائن لابتست نزول الآية .

3- في فهم دلالات الالفاظ : تلتمس الدلالة اللغوية الاصلية ، التي تعطي حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها

الحسيّة و المجازية ، ثمّ يلخص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كلّ ما في القرآن من صيغ اللفظ ، وتدبر سياقها الخاص في الآية و السورة ، و سياقها العام في القرآن كلّه .

4- في فهم اسرار التّعبير : يحتكم إلى سياق النّص في القرآن ، بالالتزام بما يحتمله نصّاً و روحا .

و تُعرض عليه أقوال المفسّرين ، فيقبل منها ما يقبله النّص ، و يتحاشى ما أُقحم على كتب التّفسير من مدسوس

الإسرائيليات ، و شوائب الأهواء المذهبية ، و بدع التّأويل .

ب - نقد التّفسير البياني :

من الباحثين من لهم مآخذ و انتقادات ليس على المنهج في حد ذاته بقدر انتقادهم لرواد هذا المنهج و أعلامه خاصة في أسلوبهم و طريقتهم للتفسير و تحاملهم على المفسرين القدامى غير المبررة على حدّ تعبيرهم . ساق بعض النقاد و الباحثين عبارات من التفسير البياني د. عائشة عبد الرحمن في إشارة لتجاهلها للمفسرين القدامى.

قال بعضهم : " لم أجد كلمة " المفسرين " في كتابها إلا و سياقها كذلك ¹ و هو أمر خطير فهذا الدكتور محمد إبراهيم شريف يقول : " ما هناك من مبرر لحملتها السافرة على قدامى المفسرين و اعتدادها الشديد بما تحقّق من نتائج و وصفها المفسرين بالدأب على إفساد البيان القرآني ، و من قبله الدكتور عفت الشرقاوي قال : " و لكن ما يلفت النظر في منهج المؤلّفة حملتها السافرة على قدامى المفسرين و اعتدادها الشديد بما تحقّق من نتائج . و لم يتوانى هؤلاء النقاد في عرض نماذج من أقوالها لتبرير ما ذهبوا إليه نحو " بعيد عن حسّ العربية " ، " بعيدة لا يعين عليها الحسّ اللغوي للمادة " و لا أدري لم فات جمهرة المفسرين أن يلحظوا موقعها هنا على كثرة تعلقهم بما له اتصال بالصنعة النحوية " و تدبّر هذه الآيات يرينا ما في قول المفسرين من جور على المعنى القويّ المثير . " و ليس بعجيب أن يفوت هذا السرّ البياني جمهرة المفسرين الذين كان جهدهم أن يجمعوا ما يمكن أن يحتمله المدلول المعجمي للفظه ، و كل ما قيل في تأويله دون أن يلتفتوا إلى الإحياء الباهر للفظ " ² أياً كان الأمر فإنّ منهج التفسير البياني قد أضاف لبنة في بناء الصرح العلمي و المعرفي في تدبر كلام الله تعالى و كشف مكنونه و أسرارهِ .

¹ - يقصد بلفظ " كذلك " عبارات التقليل من شأن المفسرين القدامى .

² - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، فهد بن الرحمن بن سليمان الرومي ، 952/3

القصة القرآنية

- 1 - أنواع القصة القرآنية .
- 2 - خصائص القصة القرآنية .
- 3 - أهداف القصة القرآنية .

القصة القرآنية :

معنى القصص : القص في اللغة تتبع الأثر. يقال : قصصت أثره أي تتبعته.

[الكهف : 64] و القصص مصدر ، قال تعالى : ﴿ فَازْتَدَا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ ، أي رجعا يقصان الأثر الذي جاء به . و قال على لسان أم موسى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص : 11] ، أي تتبّعي أثره حتّى تنظري من يأخذه.

و القصص كذلك : الأخبار المتتبعة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [آل عمران : 62] ، و قال : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : 111] و القصة : الأمر ، و الخير ، و الشآن ، و الحال .

و في الاصطلاح تعرف القصة بأنها " عمل فني يمنح الشعور بالمتعة و البهجة ، كما يتميز بالقدرة على جذب الانتباه و التّشويق ، و إثارة الخيال و قد تتضمن غرضاً أخلاقياً ، أو لغوياً أو ترويحياً ، و قد تشمل هذه الأغراض كلّها أو بعضها " و عرفها طه حسين بقوله : " هي كلّ فنٍ قوليٍّ دراميٍّ ، يتضمن أحداثاً تكشف عن صراعٍ تحمله شخصيات هي تحقق للمتلقّي - في النهاية - متعة جمالية و انفعالية ، كما تحقّق له متعة مباشرة ، من خلال ما تتضمنه من تجارب حياتية ذات هدف أخلاقي أو عقائدي يأتي تلميحا ، و تصويراً لا تقريراً ، من خلال نسيج العمل " و تعرّفها سوسن رجب على أنّها " عمل أدبي ، يصوّر حادثة من حوادث الحياة ، أو عدة حوادث مترابطة ، يتعمّق القاص في تفصيلها و النّظر إليها من جوانبٍ متعدّدة ليكسبها قيمةً إنسانية خاصةً مع الارتباط بزمانها و مكانها و تسلسل الفكرة فيها ، و عرض ما يتخلّلها من صراعٍ ماديٍّ أو نفسيٍّ ، و ما يكتنفها

من مصاعب و عقبات ، على أن يكون ذلك بطريقة مشوّقة تنتهي إلى غاية معينة " من خلال استقراءنا لجملة من التعاريف نخلص إلى القول : أنّ للقصة الأدبية خصائص فنيّة تتميز بها عن غيرها

من صنوف الكلام منها :

أ- أنّها عمل فنيّ .

ب - لها تأثير في النفس و جاذبيّة.

ج - حوادثها مرتبطة و أفكارها متسلسلة .

د - لها أغراض و أهداف ترمي إلى تحقيقها ، و قد تكون أخلاقيّة أو عقائدية أو نفسية أو اجتماعية ... و أمّا قصص القرآن : أخباره عن أحوال الأمم الماضية ، لتنبؤات السابّقة ، و الحوادث الواقعة - قد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي ، و تاريخ الأمم و ذكر البلاد و الديار ، و تتبّع آثار كلّ قوم ، و حكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه¹

1 - أنواع القصة القرآنية :

و القصص في القرآن ثلاثة أنواع :

النوع الأوّل : قصص الأنبياء ، و قد تضمّن دعوتهم إلى قومهم ، و المعجزات التي أيدهم

الله بها ، و موقف المعاندين منهم ، و مراحل الدّعوة و تطوّرها و عاقبة المؤمنين و

المكذّبين ، كقصة نوح ، و إبراهيم ، و موسى ، و هارون عيسى ، و محمد ، و غيرهم من

الأنبياء و المرسلين ، عليهم جميعاً أفضل الصّلاة و السّلام .

النوع الثاني : قصص قرآني يتعلّق بحوادث غابرة ، و أشخاص لم تثبت ثبوتهم ، كقصة الذين

خرجوا من ديارهم و هم ألوّف حذر الموت ، و طالوت و جالوت ، و ابني آدم ، وأهل الكهف ، و

ذي القرنين ، و قارون ، و أصحاب السّبب ، و مريم ، و أصحاب الأخنود و أصحاب الفيل

و نحوهم .

- مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ص 300 .¹

النوع الثالث : قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله - صلى الله عليه

و سلم - كغزوة بدر في سورة الأنفال و أحد في سورة آل عمران ، و غزوة حنين و تبوك في سورة التوبة¹.

و إن كانت القصة القرآنية تشترك مع القصة الأدبية في كثير من الخصائص الفنية - مع الفارق في القوة و الدرجة - غير أنها تتميز و تنفرد بجملة من الخصائص و المميزات صارت بها مصدر إعجاز و أكسبتها قوة التأثير في النفس البشرية لتحقيق معنى العبودية لله تعالى و هي الغاية التي خلق الجنة و الناس من أجلها و لا شك أن التأثير في النفس يؤدي إلى التغيير في التصور و السلوك .

2 - خصائص القصة القرآنية :

من خصائص القصة في القرآن الكريم :

أولاً : الصدق و الواقعية : قصص القرآن الكريم صادقة ، حقيقة واقعية و ليس فيها شيء من الخيال ، حقائق تاريخية صادقة لا تتصادم مع العقل بل هو معها في انسجام ، و مع ما للخيال من متعة و جاذبية ، إلا أن القصة الخيالية ليس لها نفس الوقع في التأثير و التأثير الذي تتميز به القصة الواقعة فضلا عن تحقيق الغاية المرجوة ، إن قصص القرآن يصور أحداث الماضي و الحاضر في صدق و امانة قال تعالى : ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾

[النساء : 122]

و قال ايضا : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن و إن كنت من

قبله لمن الغافلين ﴾ [يوسف : 03]

ثانيا : الشمولية : قصص القرآن الكريم تتصف بالشمولية من عدة أوجه :

- المرجع نفسه ، ص 316 .¹

أ - شمولية من حيث المخاطبين شملت جميع أنواع الأنفس البشرية نجد في القرآن الكريم قصص المؤمنين و الكافرين و المشركين و المنافقين لتجمع بين التبشير في قصص الصالحين و التنذير بقصص و مصير الطالحين جمعت بين الخوف و عذابه و الطمع في رحمته .

ب - شمولية الخطاب و تنوع أسلوبه حسب الحوادث و المخاطبين .

ج - شمولية الزمن و تنوعه في القصة القرآنية فيها الماضي و الحاضر و المستقبل .

د - شمولية في المواضيع عقيدة و عبادة و سلوك و اخلاق لتحقيق الغاية المرجوة.

ثالثا : تصوير الوقائع و الاحداث : أسلوب عرض القصة القرآنية تصويري يجعل القارئ يعيش الأحداث و يتفاعل معها بجميع حواسه ، مشاهد شخصياتها حية .

رابعا : التكرار : من خصائص القصة القرآنية أسلوب التكرار بصورة مختلفة بما يحقق أهدافها العقائدية و الأخلاقية و السلوكية ، فما تكرر تقرر .

خامسا : العبرة : القصة القرآنية ليست مجرد استمتاع و تسلية ، بل تسعى لهدف أسمى نحو ترسيخ العقيدة و تصحيح السلوك و تركية النفس و هو ما يعرف بالتربية بالقصص ، فالأنبياء و الرسل هم صفوة الخلق اصطفاهم الله تعالى ، ليكونوا قدوة لغيرهم و الاعتبار بأن نقيس أنفسنا على السابقين ممن قص الله علينا نبأهم بالحق ، فنعلم أن سنة الله ماضية فينا كما حلت في الذين من قبلنا ، إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا. قال تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى و لكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل كل شيء و هدى و رحمة لقوم يؤمنون ﴾ [يوسف : 111] .

سادسا : الإعجاز : لما كان القرآن الكريم كله ، معجزة بلفظه و معناه ، و قد أعجز فصحاء العرب على مجاراته و الاتيان بمثله ، و القصص واحد من مكونات القرآن الكريم لا شك أنه معجز ، فتكرار القصة الواحدة بأساليب مختلفة مع تنوع في الأداء هو ضرب من ضروب الفصاحة و البيان فضلا عن الإخبار بالأمور الغيبية .

3 - أهداف القصة القرآنية :

العبرة الدينية و الأخلاقية هي هدف رئيسي من أهداف القصة القرآنية لأنّ القرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء و القصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة لذلك خضعت القصة القرآنية لمقتضى الأغراض الدينية ، و قد ترك هذا الخضوع آثاراً واضحة في موضوعها و في طريقة عرضها :

1- أوّل أثر لهذا الخضوع أن ترد القصة الواحدة في معظم الحالات مكرّرة في مواضع شتى لكن هذا التكرار ليس متطابقاً إنّما هو تكرر لبعض حلقاتها لإظهار موضع العبرة فيها .
2- تعرض القصة بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض : فمرة تعرض القصة من أوّلها ، و مرة من وسطها و مرة من آخرها حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذلك لأنّ الهدف التاريخي ليس من الأهداف الأساسية للقصة القرآنية .

3- فقصة موسى تذكر بجميع تفصيلاتها ، و كذلك قصة عيسى تذكر بشيء من الاختصار في حلقات شتى ، و من قصة سليمان تعرض حلقاتها الوسطى و قصة يوسف تسير مفصلة حتى تنتهي ، و قصة إبراهيم تعرض منها من حلقات مطوّلة مثل حكمه في الحرث ، و فتنته بالصفافيات الجياد ، و قصته مع النملة ، و مع الهدد ، و مع بلقيس و موته و هو متكى على العصاه و الشياطين لا تعلم . و هناك قصص متوسطة التفصيل ، و قصص قصيرة و قصص متناهية القصر ، و قصص يشار إليها و لا يذكر شيء عنها إلاّ وصفا خاطفا لأصحابها كقصص إدريس و اليسع و ذي الكفل .

4- قبلها أو بعدها أو في ثناياها : خضوع القصة للغرض الديني أن تمزج التوجيهات و أمّا الدينية فنجده بسياق القصة فأما ما يذكر قبل القصة من توجيهات فنجده في قصة آدم و يونس يذكر بعدها في أعقاب قصة موسى في سورة القصص و في أعقاب قصة نوح في سورة هود و في سورة العنكبوت. في أعقاب قصص الأنبياء مجتمعة ﴿ فكلّا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ [العنكبوت : 4] و أمّا ما يذكر من توجيهات في ثناياها فنجده في الآية 259 من سورة البقرة : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَىٰ غُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۗ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۗ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّه ۗ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۗ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۗ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ ﴿1

8 - و أمّا عن أهمية القرآن الكريم و علومه الدراسات اللغوية و الأدبية فالقرآن

1 - ينظر سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن

الكريم معجزة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، تحدى به الله تعالى الإنس

و الجنّ فقال : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس و الجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [الإسراء : 88] و تحدى به العرب و هم أهل فصاحة و بيان أن يأتوا بمثله فقال : ﴿ و إن كنتم في ريب مما أنزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : 23]

ثم تدرج معهم في التحدي إلى مقام أقل بأن يأتوا بعشر سور فقال : ﴿ أم يقولون افتراه قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود : 13] بل تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة فقال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : 23] .

و العربية هي اللغة التي اختارها الله تعالى لخاتمة رسالاته فأنزل القرآن الكريم

بلسان عربي مبين قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا قرآنا عربيا لعلكم تتقون ﴾ [يوسف : 2/1] و قال أيضا : ﴿ حم تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ إن الدراسات اللغوية و الأدبية ما عرفت هذا التطور في التّقييد و التّأصيل إلا في ظل القرآن الكريم ، وجد فيه الباحثون ضالّتهم ، فهو

قمة في فصاحته و بلاغته و بيانه ، في نظمه ، لا يجاريه معجز بلفظه و معناه بل و في ذلك فصاحة أيّ نص ، بل هو مقياس لها ، و جودة أيّ نص أدبي إنّما تقاس بمقدار قربها أو بعدها عن فصاحته و بلاغته و لا ريب فهو أصل اللغة العربية بكلّ مستوياتها ، فكيف بنا ندرس هذا الفنّ .

– الدّراسات اللغويّة و الأدبيّة – في منأى عن أصوله .

لا شك أنّ اللغة العربية إنّما حفظت و ضمن لها البقاء ، بحفظ القرآن الكريم

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 9]

علم النّحو و هو من علوم العربية نشأ لصيانة القرآن الكريم من اللّحن ، و علوم البلاغة الثلاثة من علم المعاني و علم البيان و علم البديع إنّما نشأت و تطوّرت بأقسامها في أحضان القرآن الكريم و منه أخذت معالمها ففيه يجد أهل كلّ فنّ ضالّتهم ، فكيف يستغني عنه أهل اللغة و الأدب .

في ختام هذه المحاضرات الموجزة و المختصرة لمباحث علوم القرآن و التي ليس لي فيها إلاّ

فضل جمع المتفرّق

من مراجع عدّة للقمامى و المحدثين .أدعو كلّ طالب و باحث إلى الاستزادة من علوم القرآن ، و أن يجعل من كتابات المعاصرين مفتاحاً فقط للولوج إلى هذا العلم ، و أن لا يجعلها عمدة له بل لا بدّ من العودة إلى الأمّهات و المطوّلات من كتب المتقدّمين و يجتهد في جرد الفوائد ، و جمع الروايات ، و التّرجيح بين الاقوال ، و يُكثر من النّظر فيها و العودة إليها حتّى يحصل المكنة في هذا العلم بفكّ عباراتهم و شرح مصطلحاتهم .

علينا أن نحرض في توظيف علوم القرآن لإدراك معاني القرآن و أحكامه حتّى يسهل علينا تفسيره ، فالثمرة من هذا العلم هو فهم رسالة الإسلام في أبعادها العقديّة و الشرعيّة و الاخلاقيّة و الحضاريّة، إنّ التّخصّص في علوم القرآن و ضبط مباحثه هام و نافع جداً لمن يروم خدمة دينه ، و حراسة ثغوره ، خاصّة ما تعلّق بدفع شبهات المبطلين من ملاحظة و حدثيين .

اللهم ارحمنا بالقرآن و اجعله لنا إماماً و نوراً و هدى و رحمة .

و صلى اللهم و سلم على نبيّنا محمد و على آله و صحبه و سلّم .

قائمة المصادر و المراجع :

1. الإبانة عن معاني القراءات ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق : عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر .
2. أساس البلاغة الزمخشري ، تحقيق : محمد باسل عيون السرد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1419هـ/1998 م .
3. الاستنكار ، أبو عمر يوسف عبد البرد ، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1421هـ/2000 م .
4. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1429هـ/2008 م .
5. اعجاز القرآن ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
6. القاموس المحيط ، الفيرز آبادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1424هـ/2003 م
7. مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم ، دار القلم ، دمشق ، سورية ، الطبعة السابعة ، 1430 هـ/2003 م .
8. المحرر في علوم القرآن ، مساعد بن سليمان الطيار ، مركز الدراسات و المعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي ، المملكة العربية السعودية ، الطبع الثامنة ، 1439هـ/2018 م
9. المصباح المنير ، أحمد بن محمد الفيومي الحموي ، دار الفكر الجديد ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1435هـ/2014 م .
10. المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، عبد الله بن يوسف البديع ، مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1428هـ/2006 م .
11. مقاييس اللغة ، ابن فارس ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1429هـ/2008 م .
12. المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1428هـ/2008 م .
13. النبأ العظيم ، عبد الله دراز ، دار القلم ، دمشق ، سورية .
14. نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، برهان الدين البقاعي ، الدار السلفية .

15. النشر في القراءات العشر ، شمس الدين الجزري ، تحقيق : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
16. طيبة النشر في القراءات العشر ، شمس الدين بن الجزري ، تحقيق : محمد قيم الزغبى ، دار الهدى ، جدة ، السعودية ، الطبعة الأولى ، 1414هـ/1994م .
17. الوجيز في علوم القرآن ، منصور كافي ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، 2011م .
18. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى 1424 هـ / 2003 م ، القاهرة ، مصر .
19. الموافقات ، الشاطبي ، تح : أبو عبيدة مشهور بن حسن ، دار ابن عفان ، ط1 ، 1997م .
20. مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ط1.
21. التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، مساعد بن سليمان الطيار ، دار ابن الجوزي ، ط1 ، 1422 هـ .
22. التفسير و المفسرون ، محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ط7 ، 2000م .
23. النقد الأدبي أصوله و مناهجه ، سيد قطب ، دار الشروق ، مصر .
24. لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1981م .
25. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، مؤسسة الرسالة ، 1887م .
26. مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مكتبة وهلة ، القاهرة ، مصر ط7 ، 1995م .

فهرس الموضوعات :

الصفحة	العنوان
03	1. التعريف بعلوم القرآن و نشأته و تطوره
09	2. الوحي
16	3. التعريف بالقرآن الكريم
22	4. نزول القرآن منجماو الحكمة من ذلك
30	5. نزول القرآن على سبعة أحرف
41	6. المكي و المدني
48	7. أسباب النزول
61	8. جمع القرآن
71	9. ترتيب الآيات و السور
82	10. الناسخ و المنسوخ
95	11. علم المناسبات
100	12. إعجاز القرآن
109	13. المحكم و المتشابه
114	14. التفسير
126	15. التفسير اللغوي
128	16. التفسير البياني و الأدبي
132	17. القصة القرآنية
137	18. خاتمة
138	19. فهرس المصادر و المراجع
140	20. فهرس الموضوعات

.